روايات مصرية للجيب

انتقام الروبوت

١٢

رءوف وصفي

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـــدمة

الكوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم تكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوَامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرُق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكوْن ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكوْن ..
وأيضا للأسرار التى تهبط إلينا فى توُدَة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

انتقام الروبوت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- ١ -

بعد أن أنهى الروبوت المقاتل (إكس - ١) .. هجومه الفتاك على محطة الفضاء الأرضية (ألفا) .. خطا مسرعًا عبر منصة الطيران .. لسفينته الحربية (الصقر الفضى) ..

وكانت الملامح المرتسمة على وجهه الآلى .. تقترب من الشعور بالنصر .. الذى يمكن أن يحسه واحد من بنى جنسه ..

وحول الروبوت المقاتل (إكس - ١) .. كان مساعدوه مشغولين فى أعقاب المعركة الشرسة .. بإبطال مدافع الليزر المدمرة .. التى قصفوا بها محطة الفضاء الأرضية (ألفا) .. وأخذوا ينحنون ويومئون برءوسهم المعدنية .. الضخمة .. احترامًا له ..

فقد قاد (إكس - ١) جنسه الآلى .. إلى نصر ساحق .. وكانوا يعبرون عن امتنانهم له ..

أعلن صوت الكمبيوتر الآلى .. الأجش .. على الشاشات البيضاوية .. المنتشرة فى كل أرجاء السفينة الحربية (الصقر الفضى) .. تقريرًا بالوضع الحالى .. الأقمار الصناعية المدافعة عن محطة الفضاء : تم تدميرها .. مستودعات الصواريخ السطحية : دمرت بالكامل .. مراكز الاتصالات الليزرية : أعطبت .. مناطق التجمع الرئيسية للسكان : تدمير شامل .. تقييم فعالية الهجوم : ناجح .. محطة الفضاء الأرضية (ألفا) : سحقت وأبيدت تمامًا !

هزّ الروبوت المقاتل (إكس - ١) رأسه المعدنى .. الفضى .. اللامع .. وسار ببطء إلى أقرب شاشة كمبيوتر .. ليشاهد محطة الفضاء .. المدمرة .

كان المكان الذى ! امتلأ من قبل بأضواء المدن الساطعة .. فى سماء الليل .. على بعد أربعين ألف كيلومتر من كوكب الأرض .. أصبح الآن .. مجرد سواد .. وموميض خافت للنيران وهى تلتهم كل ما تبقى من المبانى والطرق والمعدات ..

وانسابت هنا وهناك .. غمامات معتمة من الدخان الأسود .. فى نفس المواقع .. التى مات فيها البشر فى أثناء محاولاتهم اليائسة الدفاع عن محطة الفضاء (ألفا) .. ضد القوى الجبارة لإمبراطورية الروبوتات !

قرر (إكس - ١) .. أنه يحب عبارة «القوى الجبارة لإمبراطورية الروبوتات) !

القوة الجبارة للروبوت المقاتل (إكس - ١) !

كان على ثقة من أنه سوف يُقابل بالتكريم .. والحفاوة .. إثر رجوعه لكوكبه .. خارج المجموعة الشمسية ! وربّما يتمكن يومًا ما .. من أن يقود هجومًا على كوكب الأرض ذاته ! وعندئذ سوف يتمكن من تحقيق رغبة واحدة له .. هى الإبادة التامة للجنس البشرى !

أما الآن فكان الروبوت المقاتل (إكس - ١) .. يعرف أن عليه أن يقنع بتدمير محطة الفضاء (ألفا) .. وبحقيقة عدم بقاء أى شخص بها .. على قيد الحياة .. بينما كانت هذه الأفكار تجول فى عقله الصناعى، وتتوهج شرائح السليكون، والدوائر الإلكترونية المتكاملة .. وتتألق الرقاقات البيولوجية ..

استدار الروبوت المقاتل (إكس ـ ١) .. وسار مبتعدًا عن شاشة الكمبيوتر ، ومن ثم فلم يلمح الضوء الذى ظهر فجأة .. يومض ويطفأ .. فى بقايا الدمار .. بأحد مستودعات الصواريخ .. وكان هذا يدل على وجود شخص ما .. على قيد الحياة !

ـ ٢ ـ

استمر (عمر شوقى) يضغط بأصابعه على مفتاح الإشارة .. ثم انتظر هنيهة ..

أخذ الضوء ينبعث كل ثلاث ثوان .. لتنطلق أشعته بسرعة هائلة .. عبر الأنقاض المتكومة .. وتضىء مساحة بضعة أمتار مربعة .. من حولها ..

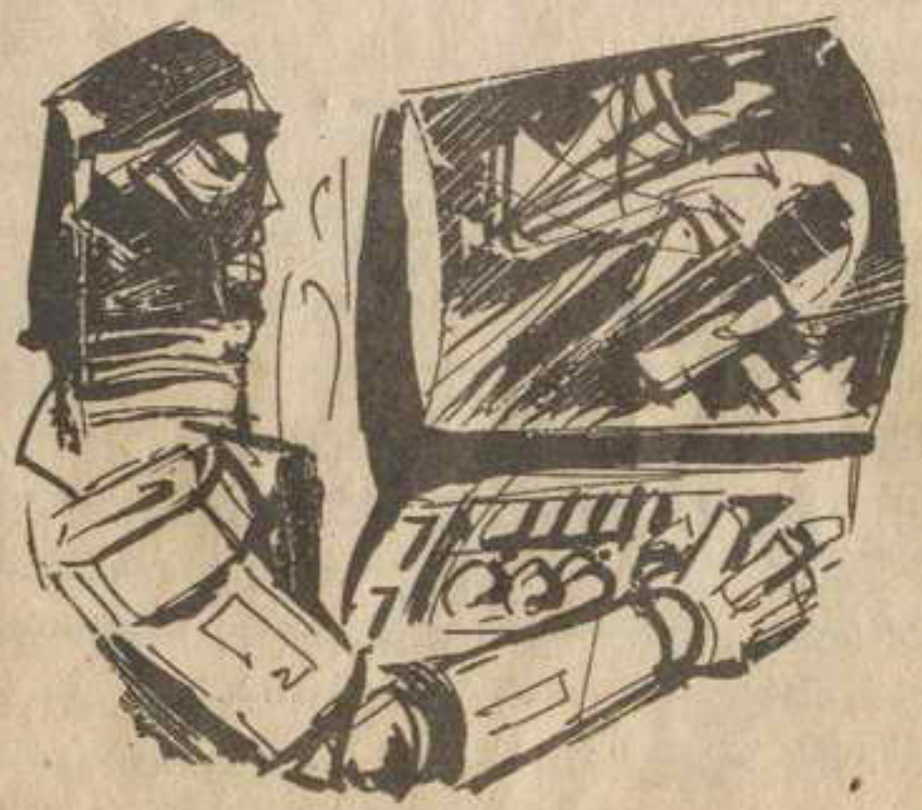

وراقب (عمر) من موقعه أعلى قمة برج التحكم .. فى مستودع الصواريخ .. كل ما حوله .. أملًا فى أن يرى إشارة ضوئية أخرى تلمع .. ردًا على إشارته .. مخبرة إياه أن شخصًا آخر .. مازال على قيد الحياة .. فليس من المعقول أن يكون هو الشخص الوحيد .. الذى بقى حيًا !

لكن بينما كان (عمر) ينتظر بنفاد صبر .. فإن الرد الوحيد الذى وصله .. هو السكون المطبق !

تحامل على نفسه .. وسار بخطوات متثاقلة .. ودخل إلى غرفة التوجيه فى مستودع الصواريخ .. وشعر بسعادة غامرة .. عندما وجد أن مفاتيح التشغيل التى تطلق الصواريخ .. مازالت سليمة .. وأن بعض الصواريخ يصلح للاستخدام .. فبدونها لم يكن بإمكانه أن يفعل شيئًا .. أما عن طريقها .. فإنه يستطيع أن يحدث خسائر جسيمة !

ـ ٣ ـ

أخطأت الصواريخ التى أطلقها (عمر) السفينة الحربية (الصقر الفضى) ..

ولكنها أصابت سفينتى القتال الأخريين فى أسطول الروبوتات ..

وبينما كان الروبوت المقاتل (إكس ـ ١) يراقب الموقف .. من على شاشة الكمبيوتر .. اندلعت ألسنة النيران فى سفينتيه (المجرة الحديدية) و (السديم الفولاذى) ..

ومن جراء التفاعل المتسلسل .. بدءًا من نقطة اصطدام الصواريخ .. إلى مستودعات الذخيرة .. أخذت السفينتان السوداوين .. تهتزان وتصدر عنهما مجموعة من الانفجارات المتلاحقة ..

وبعد عدة ثوان أخرى .. حدث انفجار مروّع .. أطلق شظايا معدنية ملتهبة .. من كل من الروبوتات المقاتلة .. والسفينتين الحربيتين ذاتيهما .. فى أثناء تفتتهما فى الفضاء !

★ ★ ★

تقهقر الروبوت (إكس ـ ١) .. إلى الخلف فى هلع ..

كان ممتلئا بزهوة نصره الباهر .. لدرجة أنه خسر ثلثى أسطوله الحربى الفضائى .. ولم يعد لديه الآن .. أى أمل فى تكريمه !

وبعد أن انطلقت الومضات الإلكترونية بسرعة هائلة .. خلال الرقاقات البيولوجية .. التى تكوّن جسمه الضخم .. ظهر ما يشبه الغضب الآلى !

أصدر الروبوت القائد (إكس ـ ١) أمره باستئناف محطات القتال لمهماتها :

ـ أعدوا مدافع الليزر ! ودمروا على الفور النقطة التى ترسل الصواريخ !

اقترب الروبوت (ت ـ ١٦) من القائد .. وهو فى حيرة من أمره ..

قال وفى صوته رنة من الخوف :

ـ سيّدى القائد .. إن ذلك مستحيل تمامًا !

دار الروبوت (إكس ـ ١) على عقبيه ليواجهه .. وقال فى قسوة :

ـ ماذا تعنى ؟

تردد الروبوت (ت ـ ١٦) وقال هامسًا :

ـ بعد هجومنا على محطة الفضاء .. أصبحت بطاريات الليزر فارغة .. ولابد من مرور عشر وحدات زمنية أخرى .. قبل تجديدها بما يكفى لشن هجوم آخر ..

شعر الروبوت المقاتل (إكس ـ ١) .. بأن دوائره الإلكترونية الداخلية .. بدأت تتحرك فى غضب ..

وبرغم علمه بأنه أخطأ .. عندما استنفد كل طاقة الليزر فى الهجوم الرئيسى .. فلم يكن يريد الاعتراف بذلك ..

ففى غمرة فرط ثقته بنفسه .. وبإمكاناته .. ارتكب خطأ تكتيكيًا !

ولو وصلت مثل هذه الأنباء إلى الكوكب الأم .. لحاق به الخزى والعار !

لقد أصبحت السفينة الحربية (الصقر الفضى) الآن .. مكشوفة تمامًا .. لأى هجوم عليها ! وبدا أمام عقله الصناعى .. بديل واحد لاثانى له ..

كان عليه أن يقود مجموعة من الروبوتات المقاتلة ..

فريق اغتيال !

ويهبط على محطة الفضاء (ألفا) المدمرة ..

وأن يتولى بنفسه الانتقام وتدمير كل من بقى على قيد الحياة !

أصدر (إكس ـ ١) أمرًا تاليًا .. سريعًا .. وقاطعًا :

ـ جهزوا مركبة الهبوط .. وفرقة من المحاربين المسلحين .. لابد أن يعرف البشر .. عقوبة الهجوم على الروبوتات !

كان الروبوت المقاتل (إكس ـ ١) .. يريد الانتقام مما حدث .. ولكنه كان مهتمًا أيضًا .. بإنقاذ سمعته كقائد !

★ ★ ★

انتصب (عمر) فى جلسته أمام أجهزة التحكم فى الصواريخ .. وابتسم ..

لقد نجح فى تدمير سفينتين حربيتين من السفن المعادية .. واستفاد من بقائه حيًا .. فى عمل شىء نافع لبنى جنسه ..

الشىء الوحيد الذى بقى عليه أن يفعله .. هو أن يخطر كوكب الأرض .. بالمأساة الدامية التى حاقت بمحطة الفضاء (ألفا) ..

لكن بينما كان ينحنى فوق وحـدة الاتصالات الليزريـة .. أو بالأخرى ما تبقى منها .. رأى (عمر) الهالة المنذرة بالخطر الداهم .. والتى تضىء السماء .. إثر انطلاق مركبة فضائية ..

وعرف أن ليس أمامه وقت طويل ..

فالربوتات الآن .. تطارده شخصيًا !

راقب (عمر) المركبة الفضائية الدائرية .. السوداء .. وأدرك أنها سوف تهبط فى ضواحى المدينة المهدمة .. فوق محطة الفضاء .. وقدر أن أمامه نصف ساعة .. قبل أن تهاجمه الروبوتات المقاتلة ..

وفى هذا الوقت .. يجب أن يهيئ طريقة للدفاع عن نفسه .. وكان (عمر) يعرف أن ذلك .. لن يكون بالأمر اليسير !

وسرعان ما اكتشف .. أنه لا يوجد تحت يده أسلحة كثيرة .. لقمع هجوم الروبوتات ..

إذ دفنت معظم الأسلحة الليزرية اليدوية .. الموجودة فى مستودعات الصواريخ .. تحت الانقاض .. إثر تدمير الانفجارات الهائلة للمبانى والمنشآت ..

ولم تكن لديه أية وسيلة لاخراجها فى الوقت المناسب ..

وفى النهاية .. تمكن بصعوبة من الحصول على مسدس ليزر .. وقنبلة حارقة وحيدة ! ثبتهما جيدًا فى حزامه الجلدى العريض .. واعتقد أنهما نوع ما من الأسلحة .. التى قد تفيد ..

وبينما كان (عمر) يتحرك خلسة .. خلال الحطام والأنقاض .. بدأت تختمر فى ذهنه .. خطة للدفاع !

إذ كان يعلم أنه فى وجود مثل هذه الأسلحة المتواضعة معه .. لن يمكنه أن يبادل الروبوتات هجومهم .. على قدم المساواة ..

لكن إذا تصرف بسرعة مناسبة .. ونظم تحركاته كما ينبغى .. فربما توصل إلى ابتكار مجموعة من الفخاخ .. تساعده فى تشتيت المهاجمين .. ثم هزيمتهم !

بدأ ذهن (عمر) يفكر بسرعة فى جميع البدائل المتاحة له ..

وأخيرًا ابتسم وهو يشعر بالنصر .. أن بإمكانه التغلب .. على الأعداء .. لو اختار نقاط هجومه .. بعناية شديدة جدًا ..

أجل .. يمكنه تحقيق النجاح !

★ ★ ★

أشار الروبوت (إكس ـ ١) إلى كلا جانبيه .. وراقب روبوتين مقاتلين .. وهما يبتعدان فى الاتجاهين اللذين أشار إليهما .. كانت المركبة الفضائية السوداء .. قد هبطت خارج مستودع الصواريخ مباشرة ..

لكن قبل أن تتمكن الروبوتات من الدخول فى المبنى نفسه .. كان عليها أن تمر خلال أنفاق بعض المبانى الملحقة بها ..

ولم يكن (إكس ـ ١) مستعدًا للمخاطرة .. إذ ربما يكون بعض البشر متربصين فى الداخل .. منتظرين لحظة الهجوم !

وبعد أن فحص الروبوتان المقاتلان .. المنطقة المجاورة .. أرسلا إشارة إلى قائدهما فى الخلف .. بعدم وجود خطر .. فأمرهما (إكس ـ ١) .. بمواصلة التقدم إلى الأمام ..

وبينما كان يقترب من مدخل ضخم مكتوب عليه .. [قيادة الصواريخ] .. لاحظ بارتياح أن المدخل غير مغلق بإحكام تام .. فحدق بإمعان مستخدمًا الأشعة تحت الحمراء .. داخل الممر المعتم الذى يفضى إليه .. والذى كان ممتدًا لمسافة طويلة .. ويقطعه كل بضعة أمتار .. نهايات ممرات فرعية .. وأكوام الأنقاض المتفرقة التى تهاوت من الأسقف .. لكن لم تكن هناك أى علامات على الحياة ..! أعطى الروبوت (إكس ـ ١) أمره :

ـ تقدموا !

ـ ٤ ـ

قبع (عمر) أمام شاشة كمبيوتر المراقبة الداخلية .. يتابع بدقة بالغة تحركات الروبوتات المقاتلة .. وهى تنتظم فى صف واحد .. فى أثناء دخولها من المدخل الرئيسى ..

كان (عمر) قد أطفأ كل الأنوار فى القاعدة الحربية .. واضطر إلى التحديق الشديد .. لكى يرى بوضوح .. لكنه كان يعرف أن الروبوتات .. سوف تتعرض لصعوبة أكبر لكى ترى .. حتى لو استخدمت الأشعة تحت الحمراء ..

لذلك لم يعبأ بالظلام ! فنقص الضوء فى الممرات .. يعنى أن الروبوتات لن تتمكن من رؤية أول فخ يضعه لهم !

وبينما هو مستمر فى المراقبة بقلق .. بدأ يعد تنازليًا :

ـ ١٠ ـ ٩ ـ ٨ ـ ٧ ـ ٦ ـ ...

★ ★ ★

وقف الروبوت المقاتل (إكس ـ ١) على مسافة بضعة أمتار .. داخل الممر .. منتظرًا انتظام بقية الروبوتات فى المدخل ..

وبسبب حجم الباب .. لم يكن ممكنا للروبوتات .. إلا أن تدخل فرادى ..

بدأ صبر (إكس ـ ١) ينفد ..

وعندما رأى الروبوتـات تتعثـر فى الأنقـاض من الصلب والأسمنت .. وتتحسس طريقها فى الظلام .. فتحدث صريرًا معدنيًا .. كئيبًا .. لعن وحدات الاستشعار من بعد .. الرديئة .. التى تستقبل الصور والمرئيات فى الأنواع الدنيا .. من الروبوتات المقاتلة .. واتخذ قرارًا فى نفسه :

ـ لابد أن أقدم اقتراحًا بأن تزود الروبوتات فى المستقبل .. بنفس الوحدة التى استخدمها .. بالأشعة تحت الحمراء !.. عندئذ ربَما تتمكن من رؤية الأشياء فى الظلام !

انتاب الروبوت (إكس ـ ١) شعور بالفزع .. عندما أدرك أنه كان يحدق خلال الثوانى الماضية .. فى فخ واضح !

إذ عبر الأرضية المعدنية أمام المدخل .. كان هناك شرك سلكى !

ولاشك أنه كان محظوظًا حقًا .. فى أنه لم يقع شخصيًا فى هذا الفخ ..

وكان (إكس ـ ١) على وشك إطلاق صيحة تحذير .. فى اللحظة التى وضع فيها الروبوت (م ـ ٢٣) ساقه فى الفخ ..

وعلى الفور .. انزلق الإطار المحكم للباب .. عبر المدخل المفتوح .. حاجزًا الروبوت بينه وبين الجدار .. ليسحق جلده المعدنى .. مثل قشرة البيض !

وبينما تراقصت وحدات استقبال المرئيات للروبوت (إكس ـ ١) فى غضب .. ارتكز بجسده الضخم على الجدار .. وهو شبه يائس !

ولمح بخفوت شكلًا بريًا يعدو مبتعدًا .. ولكنه لم يستطع أن يمنعه !

★ ★ ★

لم يكن بإمكان (إكس ـ ١) أن يفعل شيئًا سوى الانتظار .. ثم أخذ يتخيل كل الأشياء الفظيعة التى سوف ينزلها على أولئك البشر .. الذين تسببوا فى ورطته هذه ..

ولو عرف (إكس ـ ١) أن تدمير سفينتين حربيتين من أسطوله .. وتحطيم عشرات الروبوتات .. تسبب فيها رجل واحد .. لكان من المحتمل .. أن ينفجر على الفور ..

وفى داخل غرفة التحكم .. كان (عمر) يضبط بعناية العدادات التى فوق لوحة أجهزة إطلاق الصواريخ ..

كانت السفينة الحربية المعادية الثالثة .. قد أنقذت نفسها .. حينما تحركت فى مناورة دفاعية .. بارعة .. عندما أطلق صواريخه الثلاثة الأولى ..

والآن أخذ (عمر) يعيد ضبط أدوات توجيه الصاروخ الرابع ..

وبعد بضع ثوان من العمل المعقد .. المضنى .. انتصب فى جلسته .. فقد أصبح الصاروخ موجهًا .. إلى السفينة الحربية الأخيرة ..

وبحركة حاسمة من إبهام قبضته على زر التشغيل .. جهز الصاروخ تمامًا .. للانطلاق !

وظهر ضوء أخضر على لوحة العدادات .. وأجهزة التشغيل .. يبين استعداد القذيفة للانطلاق ..

لكن (عمر) لم تكن لديه الرغبة فى إطلاق الصاروخ على الفور .. فقد كانت لديه فكرة أخرى فى ذهنه !

نزع القنبلة الحارقة من حزامه .. ثم توجه إلى داخل الممر .. وأزاح بعناية بعض الأنقاض جانبًا ..

وبمجرد أن فتح لنفسه ثغرة صغيرة .. ووضع القنبلة الشديدة الانفجار .. داخلها .. وظل ممسكًا بها .. ثم جذب صمام الأمان .. أحس (عمر) أن يده ترتعد .. فقبض على القنبلة بقوة .. إذ لو تركها .. سوف تنفجر بعد خمس ثوان !

وكان يريد أن يحدث هذا الانفجار .. بينما الروبوتات فوق القنبلة مباشرة !

- ٥ -

بعد أن تمالك الروبوت (إكس - ١) والمقاتل الآلى الآخر الباقى .. روعيهما .. تحركا إلى داخل الممر المؤدى إلى غرفة التحكم .. فى مستودع الصوارخ ..

وبمجرد أن لمح (إكس - ١) .. الشبح الجاثم فى نهاية الممر .. توقف .. وخامره شعور إلكترونى .. فى كل رقاقاته البيولوجية .. بأن لحظة النصر النهائى قد حانت !

ظهر أن الشبح .. لرجل واحد ..

وبدا أنه مصاب ..

وكان ممددًا فوق كومة من الحجارة .. ويده مدفونة أسفل منه .. ووجهه ينطق بالألم .. والعذاب ..

ظن (إكس - ١) أن هذا الآدمى .. قد وقع ضحية لأحد فخاخه التى أعدها للروبوتات !

ويبطء وجه سلاحه الإشعاعى .. إلى رأس الرجل ! ثم انخفض (إكس - ١) لأسفل، وحذا حذوه المقاتل الآلى الباقى معه .

كان يدرك داخل عقله الصناعى .. أن بوسعه قتل الرجل الممدد الآن .. ولكنه أراد استجوابه أولًا .. لذا ناداه قائلًا :

- أيها الآدمى ! أين باقى الأحياء هنا ؟

رفع الرجل الراقد رأسه وقال بوهن :

- لا أحد هنا ! إننى بمفردى .. أرجوك ساعدنى !

صاح (إكس - ١) :

- لا أحد ! إن هذا مستحيل ! هل تتوقع منى أن أصدق أنك وحدك المسئول عن تدمير مقاتلىّ .. وسفنى الحربية ؟

لم يجب الرجل .. بل هبط بعمق فى الأرض ..

زادت دهشة (إكس - ١) واقترب منه أكثر ..

وفجأة .. وثب الرجل واقفًا !

وعندما أدرك الذكاء الصناعى .. للروبوت (إكس - ١) أنه خدع مرة أخرى .. حاول أن ينهض ولكنه تعثر فى كومة أنقاض .. وتبعه مقاتله الوحيد ..

بينما ركض (عمر) بكل ما أوتى من قوة ..

كان عليه أن يصل إلى غرفة التحكم .. قبل أن تنفجر القنبلة الحارقة !

وبمجرد أن مر من المدخل .. كان العد التنازلى فى عقله .. قد وصل إلى الصفر .. وانفجرت القنبلة .. بصوت مدوّ ..

وسرعان ما أطاح الانفجار بالروبوتين إلى أعلا .. حيث اصطدما بالسقف .. الذى لم يلبث أن تحطم فوقهما .. ودفنهما تحته ..!

ولعدة ثوان .. امتلأ الهواء بالتراب .. وشظايا المعدن .. والرقاقات البيولوجية .. وكان الصوت الوحيد المسموع .. دقات قلب (عمر شوقى) ..

★ ★ ★

تحرك ببطء إلى لوحة أجهزة إطلاق الصواريخ وضغط على الزر الأخضر .. واهتـــزت الغرفـــة .. والممر .. وهى تردد صدى صوت إطلاق القذيفة المدمرة ..

بعد دقيقة واحدة .. لمعت السماء فوق محطة الفضاء (ألفا) .. حيث انفجرت فى مكـــان ما فوقهـــا .. السفينة الحربية (الصقر الفضى) !

وتمنى (عمر) وقتها أن يسمع كل روبوت هذا الدوى الهائل ..

فبعد أن شاهد بعينى رأسه دمار محطة الفضاء (ألفا) .. كان يريد أن يبيـــن للروبوتـــات .. أن الإنسان ينتصر دائما فى النهاية !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الغـزو المريخى ومدينـة الإشعـاع

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

أحدثت الحروب النووية تحولات وتغيرات هامة على الإنسان .. يمكن تعرفها بالتغلغل العميق داخل العقل ..

فقد أكسبت البعض قدرات فائقة أطلق عليها .. « سيطرة الذهن على المادة » .

وترجع أساسًا إلى تزايد الإشعاعات .. الكهرومغناطيسية فى الهواء الجوى ..

وتمثلت فى التخاطر .. أى انتقال الأفكار من شخص لآخر .. بدون استخدام وسائل الاتصال الحسية .. والاستبصار .. وهو القدرة على رؤية أشياء بعيدة .. بدون استخدام الحواس .. وتحريك الأشياء بالطاقة النفسية ..

وقد أطلق على كل هذه القدرات الفائقة .. الباراسيكولوجى .. أو ما وراء علم النفس ..

وقد انتهز سكان المريخ الفوضى .. والدمار .. اللذين صاحبا الحرب النووية .. واحتلوا كوكب الأرض !

ـ ١ ـ

وقفت لدقائق طويلة .. أجاهد لالتقاط أنفاسى .. أمام مسئول النظام الدراسى .. الذى نظر من وراء مكتبه وابتسم ..

بدا صغيرًا بالنسبة لجنس المريخيين ..

فقد كان طوله ثلاثة أمتار .. ولولا الخياشيم الحمراء .. والأصابع الرفيعة المرتبطة ببعضها بأغشية .. لكان منظره بشريًا تقريبًا ..

سألنى بصوت أجش ..كئيب :

ـ اسمك وعمرك ..

ازدردت لعابى وأجبت :

ـ تامر .. اثنتا عشرة سنة .. عبقرية متقدمة !

همس لنفسه :

ـ عبقرية متقدمة !

أحسست بالخجل من مواجهة عينيه الجاحظتين .. فحدقت فى الأسواط الفضية التى تزين رداءه الأسود الطويل .. فى شاشة المراقبة الموضوعة بجوار الباب الأسود الضخم .. وراء مكتبه البيضاوى ..

قلت فى انكسار :

ـ أعترف أننى قمت بالغش .. ولم أكن قد جاوزت عامى الرابع .. عندما عرفت أننى أمتلك قدرات فائقة ..

كان الغشاء الأمامى بشاشة المراقبة يهتز بعنف ..

ودوى صوت قوى :

[القاعدة الذهبية .. التى يجب أن يعرفها .. كل سكان الأرض .. أن الخطيئة المخبأة .. يكشفها المريخى !] .

قال المسئول بلطف :

ـ هل تستطيع بقدراتك الفائقة .. أن تكتشف ما فى داخلى ؟

رددت بسرعة :

ـ كلّا يا سيّدى .. إن هذا لا يليق .. هذه خطيئة !

قال بإصرار :

ـ إنها رغبتى .

بللت شفتىّ بلسانى .. وركزت تفكيرى ، ثم قلت :

ـ كل ما أدركته غير واضح .. إن الاتصالات بين مراكزك العصبية سريعة جدًا ..

هل أنت مقدم على .. تدمير خلايا مخى ؟!

تريث المريخى قليلا ، ثم قال :

ـ متى حاولت الغش لأول مرة يا تامر ؟

أطرقت برأسى وقلت :

ـ عندما كنت فى العاشرة من عمرى ..

وتذكرت ما حدث ..

فقد أخذتنا شاشات المراقبة إلى الأساسيات الأولية .. والمقصورات الزجاجية الصغيرة .. والأضواء الملونة .. الوماضة .. المخصصة لاختبار ردود أفعال الطلبة والطالبات ..

ولم يكن هذا الامتحان الشفهى .. سيئا جدًا ..

ثم جاء دور الامتحان التحريرى ..

أجبت بسهولة على المعادلات التفاضلية .. والهندسة التكعيبية ..

ولكن عندما رأيت الصفحة الأخيرة .. صرخت على الفور .. فقد كنت ضعيفًا دائمًا .. فى الفيزياء النووية .. وكانت بعض الاستنتاجات .. فى نظرية القوى الموحدة .. والكواركات .. والأوتار الكونية .. معقدة بشكل لا يطاق .. لم يكن هذا عدلًا ! شهقت .. ثم بدأت خفية .. فى تركيز ذهنى .. والتوغل داخل عقول الآخرين ..

أصابنى الخوف .. واليأس .. والخجل .. وأنا أستخدم قدراتى الخارقة ..

أحسست كأننى لص .. يسرق المعلومات .. من أذهان الآخرين !

وأخيرًا .. وجدت عقلًا سريعًا .. وهادئًا .. تمكن من إنهاء الإجابة كاملة .. فى نصف الوقت المقرر !

وكان هذا العقل الفائق .. يدرى بوجودى !

ـ إنك غبى ! اكتب الإجابة التى سأعطيك إياها ..

كتبت بسرعة .. إذا كان جهاز المراقبة الآلى .. قد بدأ فى جمع أوراق الإجابة ..

بعد ذلك .. نظرت .. ورأيتها ..

كانت فى مثل عمرى .. ذات شعر كستنائى فاتح .. وعينين عسليتين واسعتين .. وفى خدها غمازة ..

اتصلت بى تخاطريًا .. بتبادل الأفكار .. وقلت لها :

ـ شكرًا !

أجابتنى تخاطريًا أيضًا .. وعلى وجهها ابتسامة ساخرة :

ـ فقط شعرت بالأسى عليك .. إن اسمى (رشا) ..

أتذكر أننى حدقت فيها .. وأخذت أراقبها بإعجاب حتى اختفت عن عينى !

★ ★ ★

أفقت من تأملاتى .. على صوت مسئول النظام الدراسى .. وهو يسألنى :

ـ هل رأيتها بعد ذلك ؟

قلت بصدق :

ـ طوال المرحلة الثانوية ..

تساءل بصوته الأجش :

ـ وكنت تغش باستمرار ؟

أجبت بتخاذل .. وخجل :

ـ أجل يا سيدى ..

كنت ملحقًا بتخصص التحكم الآلى لأجهزة الليزر .. التى تعمل بالسوائل .. بإذابة مادة النيوديوم بأكسيد كلوريد الصوديوم ..

أما (رشا) .. فكانت أخصائية فى الفيزياء النووية .. خاصة فيزياء الجسيمات دون الذرية ..

وفى كل مرة كنت أبدأ فى التعثر .. وسط أى امتحان .. كنت أصرخ تخاطريًا داخل عقلها ..

وكانت دائمًا تساعدنى :

ـ تمر أشعة الليزر داخل الألياف البصرية على شكل نبضات .. الهولوجرافيا من التصوير المجسم الذى يظهر الأبعاد الثلاثة للأجسام ..

ثم تستطرد قائلة بسخرية .. داخل عقلى :

ـ هذه أمور سهلة .. أيها المخ العاجز !

وأثنت علىَ أجهزة المراقبة .. وقالت هنا توجد .. عبقرية متقدمة .. ويومًا ما سوف يصبح خبيرًا فى أجهزة الليزر ويخدم كثيرًا المريخيين !

عندما كنت أقف مع (رشا) .. فى ركن الملعب الرياضى الكبير .. سألتها :

ـ منذ متى والمريخيون موجودون فوق كوكب الأرض ؟

فكرت قليلًا ، ثم قالت :

ـ منذ مائة وخمسين عامًا .. بعد الحرب النووية مباشرة ..

تريثت لعدة ثوان وأردفت قائلة :

ـ ... هل تعرف يا (تامر) ؟

تساءلت فى دهشة :

ـ أعرف ماذا ؟

ابتسمت وقالت :

ـ أننا سوف نتزوج عندما نكبر ؟!

اتقد وجهى وقلت :

ـ هذا هو اختيار كمبيوتر علم الوراثة !

قمت ببحث دقيق داخل عقلها .. ولم أجد سوى سخرية لاذعة .. فى الأعماق ..

قالت (رشا) مؤكدة :

ـ إنهم لا يعرفون أن حاصل ذكائى .. يزيد على المئتين .. إننى أحد نواتج تحسينات الخلايا البشرية .. بوساطة الهندسة الوراثية ..

تساءلت فى دهشة :

ـ الهندسة الوراثية ؟!

ردت بسرعة :

ـ يقصد بها .. إيجاد درجة من السيطرة على الفعاليات الخلوية عن طريق إدخال تعليمات وراثية جديدة إلى خلايا خاصة .. لغرض تصحيح خلل وظيفى بها .. أو لإكسابها مقدرة وظيفية جديدة .. لم تكن تمتلكها من قبل ..

تريثت برهة ثم استطردت بفخر :

ـ ... أمس طلبنى مدير المدرسة .. ليسألنى عن إنجازاتى فى مجال الوقاية من الإشعاعات فوق البنفسجية التى تصدر عن الشمس .. وتخترق ثقب الأوزون .. وقد أعطيته رأيى ..

كانت عيناها معتمتين وباردتين ، وهى تردف قائلة :

ـ ... هل تريد أن تجرب شيئًا يا (تامر) ؟

قلت متهيبًا :

ـ ما هو ؟

أشارت بأصابعها إلى بعيد ، وقالت :

ـ انظر إلى الكوة التى فى نهاية الساحة ..

حدقت فى الجدار الأبيض الذى يرتفع هناك ..

وكانت (رشا) تبتسم فى استخفاف ثم قالت :

ـ ... ركز ذهنك جيدًا .. وفكر فى وجودك هناك .

شعرت بدوار مفاجئ .. فقلت لها :

ـ إن رأسى يؤلمنى ..

وفجأة سطع ضوء أزرق .. وأحسست بأننى أترنح .. ثم لم أجد (رشا) بجوارى !

كانت واقفة فى الطرف الآخر من الساحة ..

وبدأت تركض فى اتجاهى .. وهى تضحك بفرح وسعادة قائلة :

ـ (تامر) .. لقد نجحت فى المحاولة الأولى تمامًا !

أجبتها فى إرهاق :

ـ نجحت فى ماذا ؟

وكان ألم معدتى .. يختلط بالخوف المتزايد ..

قالت بسرعة :

ـ تحريك الأشياء بالطاقة النفسية .. بمجرد تركيز الذهن عليها !

أحسست بخجل شديد داخلى .. ثم انهمرت الدموع من عينى .. إذ لم تكن لى مثل هذه القدرات النفسية .. الخارقة ..

التقطت (رشا) فكرتى وقالت :

ـ هذه موهبة ليست لكل الناس !

ـ ٢ ـ

طوال اليوم .. كنت أجوّل وأنا فى حالة من الدوار المرضى ..

وفى تلك الليلة ظللت مستيقظًا .. ومحدقًا فى الجدارن السوداء لحجرة نومى .. ومتذكرًا أسئلتى .. ومناقشاتى الشفوية مع (رشا) .. وعندما استسلمت للنوم أخيرًا .. حلمت بمسئول النظام الدراسى .. المريخى .. وهو يحضر فى هيبة .. ويرمينا بنظرات الاتهام ..

وبينما نحن نستعطف .. ونبكى .. قادنا خلال الباب الأسود الكبير .. إلى حجرة الاشعاع !

★ ★ ★

فى هذا الأسبوع تخرجنا من المرحلة الثانوية .. ومنحنا مدير المدرسة فترة راحة لمدة عشر ساعات .. وجاءتنى فكرة (رشا) .. فى ذهنى كالشهاب المتقد :

ـ هيّا بنا نزر .. مدينة الإشعاع !

هذا جنون !

وأردت أن أشغل نفسى بوحدات الإصلاح فى جناح التحكم الآلى .. ولكننى وجدت نفسى أفكر فى الأمر .. ثم أوافق فى النهاية ..

لم ندخل إلى هناك قط .. من قبل ..

كنا نثب فرحين على طول الطريق الفضى .. والسماء رمادية صافية .. و (رشا) فى قمة الإثارة والمتعة ..

وكان يسير بجوارنا جهاز المراقبة الذهبى .. ويقول لنا بصوته الآلى .. المميز :

ـ هنا كان المفاعل النووى المحلى .. وهناك مدينة الإشعاع ..

لمعت المدينة المدمرة على البعد .. وأطلّت المبانى البيضاء الرفيعة .. والأبراج الفولاذية والخرسانية القريبة .. ومحطة توليد الكهرباء التى تصدر طنينًا متواصلًا ..

وفى أعلى .. كانت السفن الحربية الفضائية .. المريخية .. تلمع عبر السماء .. وتحدث جهاز المراقبة بنبرة روتينية :

ـ كل شىء على ما يرام .. الإنسان يعمل ليكفر عن خطيئة الحرب .. والمريخيون يوجهونه .. ليضع قدمه على الطريق الصحيح ..

صرخت .. ووضعت يدى فوق وجهى ..

كانت الأبراج الفولاذية .. والخرسانية محطمة .. والصخور السوداء .. الخام .. منصهرة .. والأرض متشققة ! والضباب الأزرق السابح .. من الإشعاعات ..

كان عداد جيجر الذى ينبئ عن وجود الإشعاع الذرى .. مثبتًا فى صدر جهاز المراقبة ..

صدر عنه صوت رتيب .. آلىّ :

ـ ممنوع الاقتراب أكثر من ذلك .. هذه هى النقطة الخطرة .. انظروا إلى جوهر الشر .. والخطيئة .. حتى بعد مائة عام سوف يظل الموت مخيمًا ! هذا هو رمز الإنسان القديم .. انظروا .. وتذكروا .. وخذوا موعظة !

كرهت هذا .. وأخذت أنظر إلى (رشا) .. وهى ترتعد .. وعيناها تبرقان ..

وفجأة .. أمسكت بلوح معدنى صغير .. أخرجته من بين طيات ملابسها .. ووضعته أمام مقدمة جهاز المراقبة ..

سمعت صوتًا مميزًا .. متقطعًا .. وتوقف الجهاز عن العمل ..

همست :

ـ ماذا فعلت ؟

أجابتنى بابتسامة :

ـ أضعفت قدرته .. بلوح من مادة الليثيوم .. سوف يظل على هذه الحال .. مدة ثلاث ساعات .. حتى تنتهى زيارتنا .. ولن يحتفظ فى ذاكرته الإلكترونية بأى شىء .. والآن يمكننا الذهاب إلى مدينة الإشعاع !

أحسست بجفاف حلقى .. فقلت لها فى رهبة :

ـ (رشا) .. لا يجوز أن تفعلى ذلك .

أعطتنى رداء من البلاستيك .. وقالت لى :

ـ ارتد هذا .

قلت فى دهشة :

ـ ماذا ؟

ردت بسرعة :

ـ لكى يحمينا من الإشعاع .. لقد صنعته فى المختبر .. ظللت أحلم بذلك طوال ثلاث سنوات .. فأنا أريد أن أعرف .. ما الذى تحتويه هذه المدينة القديمة .. من أسرار !

لاشك أن ذلك .. كان حلمًا رهيبًا ..

ولكننى أرى الآن (رشا) تضع الرداء البلاستيكى فوق ملابسها .. ثم قالت بلهفة :

ـ أسرع ..

همست بتردد :

ـ إننى .. لن أفعل ذلك !

قالت وهى تبتسم فى تحدّ :

ـ إننا سوف ندخل امتحان القبول الثالث فى الأسبوع القادم .. هل تريد منى أن أقيم حاجزًا للعقل !.. تعلم أننى أستطيع ذلك ..

رددت متوسلًا :

ـ أرجوك !

قالت بسرعة :

ـ إذن أسرع .. فالوقت يمر ..

وحتى الآن .. فإننى ما زلت أكره التفكير فى تلك الأمسية ..

الطريق الضيق المتعرج .. والضباب الأزرق الرهيب الذى يلمع من حولنا .. كآلاف العيون الصغيرة .. ويقتفى أثر (رشا) .. وهى تركض كالأرنب البرى ، وتزحف داخل المبانى الضيقة .. المهدمة .. وكتل الكرات الفولاذية .. الصدئة .. المتناثرة فى كل مكان .. حتى توقفنا فى النهاية أمام أنقاض مبنى من الطوب الأبيض ..

قالت (رشا) وهى تنظر أمامها :

ـ هذا هو المكان !.. سوف أدخل .. على أن تتصل بى تخاطريًا .. أسرع !

ردّدت فى عناد :

ـ لن أفعل .. إنك تعرفين ما تقوله قوانين المريخيين .. سوف نحترق إلى الأبد !

لم ترد علىّ .. بل أسرعت بالدخول فى ممر مقبب متهاوٍ ..

أخذت أبكى .. لأننى شعرت بوحدتى ..

وعندما خرجت (رشا) بعد ساعة كاملة .. كان وجهها شاحبًا .. وجامدًا ..!

حاولت أن أتصل بعقلها ..

ولكننى وجدت فراغًا غريبًا .. فى داخله ..

قالت بصوت مفعم بالأسى :

ـ كانت هذه .. المكتبة العامة ! المعرفـة .. والثقافـة .. والحضارة ..

ثم توقفت عن الكلام وعيناها تدمعان ..

وكان عقلها باردًا .. وحزينًا ..

اقتربت منها وقلت هامسًا :

ـ ماذا وجدت ؟

قالت بصوت مرير .. وكئيب :

ـ ما كان عليه الإنسان .. قبل الغزو المريخى !

ـ ٣ ـ

لم أر (رشا) لمدة أسبوع كامل .. بعد زيارتنا لمدينة الإشعاع ..

كنت أنتظرها فى ساحة الملعب الرياضى ..

ولكنها كانت مشغولة فى المختبر النووى ..

كما لم أستطع الاتصال بها تخاطريًا ..

وذات يوم .. حدث شىء غريب .. فى أثناء محاضرة الألياف البصرية ..

فقد انفجر فى عقلى ضوء أبيض ساطع .. فصرخت ..

وكذلك صرخ كل الطلبة والطالبات ..

وأصيب الجميع بصداع مؤلم ..!

وقامت أجهزة المراقبة بمنحنا إجازة فى ذلك اليوم ..

وعرفنا بعد ذلك أن الخبر انتشر فى المدرسة كلها ..

وحقق الروبوت (ا.ن ـ ١٥) الأخصائى النفسى فى هذا الحدث الغريب ..

وأجـــريت اختبـــارات ..
واستقصاءات .. لكن لم يتم التوصل إلى شيء !
جاءت (رشا) إلى ساحة الملعب الرياضى فى اليوم التالى .. وكان وجهها مرهقًا ..
سألتها فى لهفة :
ـ هل سوف تساعدينني فى امتحانات القبول الثالث ؟
ردت بسرعة :
ـ هذا لا يهم الآن يا (تامر) .. انس ذلك ..
قلت لها فى توسل :
ـ أرجوك يا (رشا) ..
قاطعتنى بحدة :
ـ صه ! وانظر إلى داخل عقلى !
اتصلت بها تخاطريًا ..
ولم أستطع قبول أفكارها أبدًا .. فقد كانت رهيبة تمامًا .. فتركتها .. وركضت إلى حجرتى ..

★ ★ ★

وفى هذه الليلة .. لم أستطع النوم .. بل ظللت أحاول الاتصال بها .. بتبادل الأفكار .. ولكنها وضعت حاجزًا عقليًا بينى .. وبينها ..
وأخيرا تم الاتصال ..

قالت بحدة بالغة :
ـ ماذا تريد ؟
أجبت متهيبًا :
ـ إن هذه جريمة يا (رشا) .. خطيئة ! تضاف إلى خطايا الإنسان !
ردت بقمة انفعالها :
ـ اخلد للنوم .. إنك لا تصلح لشيء ..
قلت مجادلًا :
ـ إنك ترتدين إلى الماضى ..! وتقاومين من يرغبون فى أن نعيش بسلام !
أكدت لى قائلة :
ـ إن المريخيين سيستعمرون كوكب الأرض .. ويجب التخلص منهم !
قلت هامسًا :
ـ سوف أخبر أجهزة الرقابة ..
صرخت داخل عقلى :
ـ فى هذه الحالة .. سوف أحطم خلايا مخك تمامًا .. وتعلم أننى قادرة على هذا ..
فى صباح اليوم التالى .. أعطانى جهاز المراقبة انتقادًا لعدم الانتباه .. فى أثناء المحاضرات ..
لكننى لم أهتم .. بل كان فى ذهنى .. خضم من الأفكار المتباينة .. وحاولت جاهدًا أن أتصل بعقل (رشا) ..

كان عقلها باردًا .. جامدًا .. ساخرًا ..
قالت أفكارها بحدة :
ـ دعنى وشأنى !
واستطعت فجأة أن أرى بعينيها ..
كانت فى مختبر الطاقة النووية .. أصابعها المدربة .. تتحرك هنا وهناك .. لضبط قرص البلوتونيوم ٢٣٩ .. فوق مجموعة من المواسير الزجاجية والنحاسية ..
تألقت المجموعة ببريق فيروزى خافت ..
إنها تعد سلاحًا نوويًا !

ـ ٤ ـ

ركزت ذهنى إلى أقصى حد .. والتففت حول نفسى داخل عقلها .. أتوسل إليها .. أن تكف عما تفعله ..
قالت بإصرار :
ـ سوف تساعدنى بقدراتك الفائقة !
كنت أحاول أن أنظر داخل أعماق عقلها .. لأرى شكل الإنسان الذى كان موجودًا .. قبل غزو المريخيين .. وأردت أن أوقفها ..
ولكنها كانت قوية جدًا .. وهى تصرخ بقمة انفعالها داخل عقلى :
ـ ركز ذهنك .. لنقل هذا السلاح النووى .. وتفجيره فى المكان المحدد !
حاولت مقاومتها .. دون جدوى .. ثم نفذت ما أمرتنى به !

★ ★ ★

سألنى المسئول المريخى عن النظام المدرسى .. بهدوء :
ـ ما الذى فعلته ؟

أخذت نفسًا عميقًا .. وأنا أتذكر كيف كانت (رشا) تصرخ فى داخلى .. وكم قاومت .. ولكن دون جدوى !
قلت بشجاعة :
ـ قمت بواجبى تجاه الجنس البشرى .. وكوكب الأرض ..
صرخ المريخى .. وخياشيمه ترتعد فى غضب :
ـ لقد استخدمت قدراتك الفائقة .. فى تدمير جناح كامل بمبنى الأبحاث النووية .. وكانت النتيجة .. موت عشرات المريخيين العلماء !
ارتعد بدنى .. ولكننى تمالكت نفسى وقلت :
ـ بعد ثلاثين ثانية أخرى .. سوف يحدث انفجار آخر .. إلى أن ينتهى المريخيون تمامًا .. من فوق كوكب الأرض !!
تحدث المريخى المسئول بصوت مكدود .. ومكتئب :
ـ هل لديك أقوال أخرى تضيفها إلى اعترافك ؟
هززت رأسى بلا مبالاة .. ولم أرد ..
وهكذا .. انتهى الأمر ..
لقد أقنعتنى (رشا) بأن أشترك فى المقاومة السرية .. لأهل الأرض .. ضد المريخيين .. مستخدمًا قدراتى الفائقة .. من أجل وطننا الكبير .. كوكب الأرض ..
برقت أفكار (رشا) بخفوت داخل رأسى :
ـ إننى فخورة بك ..
أجبتها :
ـ من أجل وطنى .. ومن أجلك يا (رشا) ..
فردت علىَّ بسرعة :
ـ تعال إلىَّ يا (تامر) إننى فى حاجة إليك !

★ ★ ★

وقف المسئول المريخى ببطء .. وفتح الباب الأسود .. وأمسكنى جهاز المراقبة من ذراعى الأيمن .. وقال بصوت هادر :

ـ تكفيـر عن خطيئـة .. مثل أى مصلـح اجتماعـى .. يوزع نصائحه ..

وقادنى تجاه الباب الضخم ..

أغلقت عينىَ المجهدتين .. وفكرت فى (رشا) بقوة .. ثم شعرت بالترنح فى الظلام .. والهبوط المفاجئ .. والدوار الذى لا يحتمل..

ثم اختفت الحجرة .. ووجدت نفسى أقف على العشب الأخضر .. والشمس الذهبية ساطعة .. فى السماء الرمادية .. ويبدو طيف مدينة الإشعاع المحطمة .. على مسافة مئات الأمتار ..

إنها مقرنا الجديد .. العقاب .. والمنفى .. لاشتراكنا فى المقاومة السرية .. ضد المريخيين !

كانت (رشا) تقف قريبًا منى ..

نظرت إلى المدينة .. وقالت بشرود :

ـ سوف نحتاج إلى بعض النحاس والبلاتين وأيضًا إلى مصدر للطاقة .. ويورانيوم ٢٣٥ .. وبلوتونيوم ٢٣٩ .. وهكذا يمكننى صناعة مفاعل نووى .. وسوف تستمر مقاومتنا لقوات الاحتلال المريخية .. حتى نقضى عليهم ..

تريثت لبرهة .. ثم أشارت بيدها .. واستطردت :

ـ .. (تامر) .. لا يوجد إشعاع فى هذه الناحية .. هيًا بنا .. ودخلنا مدينة الإشعاع .. وطننا الجديد .. ويدى فى يدها ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

النجم الأسود

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

وصلنا أخيرًا إلى النجم الأسود ..
الكائن الغريب .. القادم من حجرة « المرأة المسلسلة » .
والفتاة المريخية ..
وأنا .. رائد الفضاء (مجدى سامى) من كوكب الأرض ..
وهنا .. بدأت متاعبنا !
كنا فريقًا علميًا .. أرسلنا المجلس الأعلى الكونى للعلوم لنراقب اللحظات الأخيرة .. لنجم يموت !
واحتاج الأمر لجهد ضخم فى السفر بين النجوم .. من أول اختيار ثلاثة خبراء فى الفلك .. ثم وضعهم فى سفينة فضائية .. وانطلاقهم إلى عمق الكون .. لمراقبة ما لم يتح لأى إنسان قط من قبل .. أن يراه ..
كانت فكرة رائعة .. وجميلة .. ومبدعة ..
وكنا نعرف هدفنا جيدًا ..
فنحن مجموعة مثالية !

- ١ -

كانت الفتاة المريخية (راندا) .. تقود سفينة الفضاء (المستكشف) .. فى اليوم الذى رأينا فيه النجم الأسود لأول مرة ..
قضت ساعات تدرسه .. قبل أن تخبرنا أننا وصلنا إلى نهاية رحلتنا .. ثم نادتنا لكى نحضر من قمراتنا ..

دخلت غرفة القيادة .. فوجدت (راندا) بجسمها القوى .. وطولها الفارع .. تغطى تمامًا المقعد الأخضر اللامع .. الموضوع أمام شاشة الكمبيوتر الرئيسية .. وكان الكائن الغريب واقفًا بجوارها .. بجسده الصغير .. جاثمًا فوق ثلاثة أرجل عظمية رفيعة .. وبدا كتفاه الضخمان منحنيين إلى الأمام .. بحيث حجبا تقريبًا .. رأسه المقببة الضئيلة ..
لم يكن هناك سبب حقيقى فى ضرورة وجود مخ أى كائن .. داخل جمجمته .. بل كان فى مكان مأمون داخل صدر هذا الكائن الغريب ..
وأصبحت أخشى أن تكون لدىّ قدرة محدودة على تحمل الغرباء !
قالت (راندا) بصوتها الجهورى :
- انظرا !

فى الوقت الذى أضاءت فيه الشاشة ..
كان النجم المظلم معلقًا فى الفضاء .. على مسافة نحو ثمان سنوات ضوئية ..
وكنا نخشى من هذه المسافة القريبة ..
لم يكن النجم ميتًا تمامًا .. ولا أسود بالكامل !
حدقت فيه فى هلع ..
كان جرمًا فضائيًا .. ضخمًا جدًا .. وبشع المنظر .. تبلغ كتلته نحو أربعة أمثال كتلة الشمس .. ويمثل بقايا مهيبة من نجم عملاق ..

بدا على الشاشة مثل حقل هائل من الحمم البركانية .. جزر مروعة ملتهبة .. فى حجم الكواكب .. تسبح فى بحر من الصخور المنصهرة .. المتوقدة ..

كانت الشاشة مضاءة بلون أحمر كئيب .. بينما أخذ النجم المحتضر .. ينبض بطاقة كامنة باللونين الأسود والقرمزى .. وفى أعماق كوم الصهارة .. كان التركيب الذرى للمادة قد تحطم .. وانطلقت الإلكترونات والأنوية الحرة .. بلازما حرارية ..!

ذات مرة .. كان ضياء هذا النجم يدفئ منظومته الكوكبية .. ولكنى لا أستطيع أن أفكر فى بلايين السنين التى مرت منذ ذلك الوقت .. ولا فى الحضارت الممكنة فوق كواكبه .. والتى استنفدت كل ضوء وحرارة هذا النجم .. قبل حدوث الكارثة له ..!

قالت (راندا) :

ـ لقد التقطت درجات الحرارة .. بوساطة الاستشعار من بعد .. يتراوح متوسطها فوق السطح بين ٩٠٠ إلى ١٠٠٠ درجة منوية .. ولا توجد أى فرصة للهبوط !

نظرت إليها عابسًا وقلت :

ـ أرجو أن تكونى أكثر دقة !

قالت بسرعة :

ـ الكتل الرمادية تشع حرارة عند ٢٥٠ درجة منوية .. أما درجات الحرارة الداخلية فتبلغ ٢٥٠٠ درجة فما فوق .. وسوف تنصهر فى لحظات .. إذا هبطنا هناك !

قلت لها وأنا أنظر إلى الشاشة :

ـ إننى لم أقل ...

قاطعتنى صائحة :

ـ كيف يمكن أن يكون هناك مكان آمن للهبوط .. فى هذا الجحيم ؟!

وكان صوتها هادرًا .. جهيرًا .. ثم أردفت قائلة :

ـ ... إنك تشك فى قدراتى !

قال الكائن الغريب بطريقته المعتدلة :

ـ سوف نستخدم مركبة فضائية صغيرة .. للقيام بالمعاينة والاستكشاف .. إذ لم تنفذ من قبل .. أى خطة للهبوط المادى .. على أحد النجوم ..

هدأت (راندا) .. وحدقت أنا فى رعب .. إلى المنظر الذى ملأ شاشة الكمبيوتر ..

إن النجم يستغرق زمنًا طويلًا ليموت .. والجزء المتبقى منه الذى شاهدته .. بهرنى بعمره الطويل ..

لقد أضاء لبلايين السنين .. حتى استهلك تمامًا كل وقوده الهيدروجينى .. وبدأ فرنه النووى الحرارى يتقوض .. ويخمد ..

والنجم له دفاعاته ضد انخفاض درجة حرارته .. إذ بمجرد تناقص مصادره من الوقود .. فإنه ينكمش .. وتزداد كثافته .. ويحوّل طاقة جاذبيته .. إلى طاقة حرارية ..

إنه يعيش عندئذ حياة جديدة .. عجيبة .. كقزم أبيض ! حيث يتحطم التركيب الذرى العادى .. فالإلكترونات قد أرغمت على الخروج .. من مستويات طاقاتها .. واقتربت من الأنوية .. وانعصر فراغ الذرة ..

وتكدست الجسيمات دون الذرية .. فى حيز ضيق كثيف .. ومن ثم صار النجم بالغ الكثافة .. بحيث يكون وزن السنتيمتر المكعب .. من مادة القزم الأبيض .. أكثر من طن !

وبعد زمن طويل .. يمتنع النجم عن الإشعاع فى نطاق الموجات المرئية .. ويستمر فى إطلاق الأشعة تحت الحمراء .. التى لا نراها بالعين البشرية ..

وبعد ذلك يبرد تمامًا .. ويصبح مجرد جسم أسود ميت .. معلق فى الفضاء !

لقد درسنا الأقزام البيضاء لعدة قرون .. ونعرف أسرارها .. على الأقل هذا ما نعتقده .. والآن تدور حفنة من مادة القزم الأبيض .. حول مختبر الأرصاد المقام على كوكب بلوتو .. مما يزيد الإضاءة هناك ..

لكن النجم الذى على شاشتنا .. بدا مختلفًا .. فقد كان ذات مرة .. نجمًا شابًا هائلًا .. تبلغ كتلته عدة مرات من قدر كتلة الشمس .. لذلك لم يتقلص خطوة وراء أخرى .. إلى أن يصبح قزمًا أبيض .. إذ عندما تحول كل هيدروجينه إلى مواد ثقيلة كالحديد .. حدث له تقوض مأساوى .. أدى إلى وقوع .. السوبر نوفا .. أى انفجار مروّع يفتت النجم إلى أشلاء فى الفضاء .. وسرت موجات صدمية رهيبة فى قلب النجم .. زلازل نجمية ! حولت طاقة الانفجار .. إلى حرارة ..

وانطلقت النيوترينوات .. تلك الجسيمات دون الذرية .. التى لا كتلة لها .. من عقالها .. وارتفعت درجة حرارة الغلاف المحيط بالنجم .. إلى ما يتجاوز ٢٠٠ مليون درجة .. وأصبحت الطاقة الحرارية .. إشعاعًا كثيفًا يندلع من النجم المحتضر .. ساترًا سطوع وضياء مجرة «سحابة ماجلان الكبرى» بأكملها .. للحظات قصيرة .. مفاجئة !

★ ★ ★

إن الذى أمامنا الآن .. هو القلب الذى تخلف .. إثر انفجار .. السوبر نوفا ..

وحتى عقب هذه الدوامة الكونية المروّعة .. المخيفة .. فإن الذى تبقى من جسم النجم .. كان كتلة مشتعلة .. هائلة الحجم ..

إن الجرم الفضائى الممزق .. أخذ يبرد منذ دهر من الزمن .. حتى تحين لحظة موته النهائى ..

قزم أسود يخترق الفضاء .. مثل كتلة بشعة من الرماد .. خفيفة .. وباردة ..

أما هذا النجم المظلم الذى أمامنا .. كان ينتظره موت خاص .. مروّع !

- ٢ -

أوقفت الفتاة المريخية (راندا) سفينة الفضاء فى مدار .. يترك مكانًا فسيحًا للنجم الأسود .. وعكفت على أخذ قياساتها .. وإجراء حساباتها ..

أما الكائن الغريب .. فقد أخذ يؤدى بعض العمليات الفنية الصعبة .. التى تتعلق بتعرّف المواد الثقيلة .. التى تكونت فى مركز النجم وأدت إلى انفجاره منذ زمن قريب .. نسبيًا ..

كان العمل مقسمًا بيننا بشكل جيد .. بحيث يؤدى كل منا عمله الروتينى .. وفق خطة محددة .. وضعها المجلس الأعلى الكونى للعلوم ..

وكانت التكلفة الباهظة لإرسال سفينة استكشافية .. إلى عمق الكون .. قد خفضت بالضرورة من حجم البعثة العلمية .. بحيث لم تضم سوى ثلاثتنا ..

ممثل للموجودين من الجنس البشرى فوق كوكب الأرض ..

ومندوب لمستوطنى كواكب المنظومة الشمسية .. الذين تكيفوا تبعًا للظروف الخاصة بكل كوكب .. وأحد علماء جنس الكائنات الغريبة .. وهم المخلوقات العاقلة الأخرى الوحيدة .. فى الكون المرئى .. الذى نعرفه ..

ثلاثة علماء متفرغين .. ومتخصصين ..

وبالتالى يمكنهم أن يعيشوا فى انسجام وصفاء .. فى أثناء فترة العمل ..

ولكن ـ كما هو معروف ـ فإن العلماء لا عواطف لهم .. ولا يفكرون إلا فى واجباتهم الوظيفية فقط ..

ومن ثم فقد حدث شىء من الجفاء .. بينى وبين (راندا) ..

قلت لها بحدة :

ـ ما هى أرقام الذبذبات نصف القطرية للنجم ؟

أجابت ساخرة :

ـ انظر إلى تقريرى ! إنه سوف يطبع فى أوائل العام القادم فى...

قاطعتها صائحًا :

ـ هذا ليس وقت العبث ! إننى أريد هذه الأرقام الآن !

ردت بتحد :

ـ أعطنى أرقامك الإجمالية .. عن منحنى كتلة النجم الأسود .. وكثافته .. وعندئذ ..

قلت بصدق :

ـ إنها ليست جاهزة بعد .. كل ما لدىّ عبارة عن بيانات أولية ..

صاحت فى وجهى :

ـ غير معقول ! فالكمبيوتر يعمل بشكل متواصل لعدة أيام ! لقد رأيته بنفسى !

كنت على وشك الانقضاض على عنقها الضخم .. معرضًا نفسى لخوض معركة شرسة معها .. وجسمها الذى يزن أكثر من مائة وعشرين كيلو جرامًا .. لم يكن مدربًا على القتال الشخصى .. مثل جسمى .. ولكنها كانت تمتاز عنى بالقوة .. والضخامة .. ولهذا ترددت !

وعندئذ ظهر الكائن الغريب .. فعاد الهدوء .. والسكينة مرة أخرى .. ونطق بعدة كلمات رقيقة .. لينة ..

فقد كان هذا المخلوق .. هو الوحيد بيننا الذى يبدو متوائمًا مع التصور الروتينى .. لهذا التجريد الفكرى .. اللاعاطفى .. عن العالم ..

تحرك الكائن الغريب بهدوء بيننا .. كوسيط بينى وبين (راندا) ..

كنت أحتقره بسبب برودة .. وهدوئه .. الشديدين .. واعتقدت أيضًا أنه ينفر من كلينا .. بسبب استعدادنا للتنفيس عن عواطفنا .. وأنه يشعر بالسرور .. من تأكيد تفوقه علينا بتهدئة انفعالاتنا !

★ ★ ★

استأنفنا بحثنا العلمى .. وكان أمامنا بعض الوقت .. قبل تقوض .. وانهيار النجم المظلم .. ذلك الحدث الرهيب .. الذى كنا فى انتظاره !

برد النجم تقريبًا .. حتى الموت .. ولكن كان هناك بعض النشاط النووى .. الحرارى .. فى مركزه .. بما يكفى لجعله مناسبًا لهبوطنا فعلا على سطحه ..

كان يشع أساسًا فى النطاق المرئى من الطيف .. وبمقاييس النجوم .. أصبحت درجة حرارته معدومة .. ولكن بالنسبة لنا .. كان ذلك مثل الهبوط فى قلب بركان نشط .. متأجج !

لم يكن ضوء النجم قويًا .. بحيث يمكن كشفه بالتلسكوبات البصرية .. على مسافة تبلغ شهرًا ضوئيًا .. أو نحو ذلك .. وإنما تم رصده بوساطة تلسكوب .. يعمل بالأشعة تحت الحمراء .. ويحمله قمر صناعى ضخم ..

وهكذا أمكن اكتشاف ضغط التحلل .. الذى يصيب الإلكترونات .. عندما تكون المادة فى حالة كثافة شديدة ..

سجلنا معلومات مهمة عن تكدس الإلكترونات .. داخل النجم .. وتلاصقها فى حيز ضيق .. بحيث تقاوم أية محاولة لضغطها أكثر .. أو تقليصها إلى حجم أصغر ..!

كان التوتر فى سفينة الفضاء .. خطيرًا .. وأصبح النقاش الحاد .. بينى وبين (راندا) أمرًا معتادًا .. أما رفيقنا الغريب .. فلم تبدر منه أية محاولة لمضايقتنا ..

لكن التوتر الشديد فى الأماكن الضيقة .. يمكن أن يؤدى إلى الجنون .. أو الانفجار !

وكانت اللامبالاة الحميدة للكائن الغريب بالنسبة لنا .. قوة كامنة .. للمزيد من الكراهية بيننا .. وتمثلت بوضوح فى العصبية .. وردود الفعل الجافة .. المتعمدة ..!

★ ★ ★

بدا النجم الأسود معلقًا فى شاشة الرؤية .. المتصلة بأجهزة الاستشعار من بعد ..

كان يتأجج بقوة .. لا تتفق مع حالة احتضاره ..

وانطلقت منه جزر هائلة من الرماد .. تبلغ أقطارها مئات الكيلومترات . وتحركت عشوائيًا .. فى محيط من اللهب الداخلى ..

ومن وقت لآخر برز من مركز النجم .. نافورات متأججة من الجسيمات دون الذرية .. الحرة ..

وأظهرت أرقامنا أن الانفجار النهائى .. اقترب موعده !

وكان ذلك معناه أن أمامنا اختيارًا صعبًا .. لابد أن نتخذ فيه قرارًا .. إذ لابد أن أحدنا .. مضطر لمراقبة آخر لحظات فى حياة النجم المظلم .. عن كثب ..

وكانت المخاطرة شديدة .. وربما مميتة !

ولم يذكر أحدنا .. من الذى سوف يتحمل هذه المسئولية .. الأخيرة !

- ٣ -

فى الشهر الثالث .. لدورانا حول النجم الأسود .. أعلن الكائن الغريب :

- كل المعلومات تشير إلى قرب حدوث انفجار النجم ..

تريث لبرهة ثم أضاف :

- ... حان وقت إرسال المركبة الفضائية .. إلى سطح النجم الأسود ..

تساءلت :

- من منا سوف يقود هذه المركبة ؟

أشاحت (راندا) بيدها المترهلة تجاهى ، وقالت :

- ستقوم أنت بذلك !

أخبرتها ساخرًا :

- أعتقد أنك أقدر منى .. على القيام بهذه المهمة ..

ردت بحدة :

- لن أفعل ذلك ..

قال الكائن الغريب مشفقًا :

- علينا أن نجرى قرعة !

قالت (راندا) بعصبية :

- هذا غير عادل !

ثم حملقت فىّ غاضبة وأردفت قائلة :

- ... إنه سوف يفعل أى شىء لصالحه .. إننى لا أثق به قط ..

سألها الكائن الغريب :

- إذن ما الذى يمكننا أن نفعله ؟

أبديت رأيى قائلًا :

- فلنأخذ الأصوات .. إننى أرشح (راندا) !

قالت بسرعة :

ـ وأنا أرشح (مجدى) !

وضع الكائن الغريب زوانده .. التى تشبه الحبال المجدولة .. عبر رأسه الصغير البيضاوى .. بين كتفيه .. وقال بهدوء :

ـ حيث إننى لا أريد ترشيح نفسى .. فإننى أرى أن أقوم بالاختيار الحاسم .. فيما بينكما ..

وتركنا هذا الموضوع الشائك .. لبعض الوقت .. فما زال أمامنا عدة أيام أخرى .. قبل الوصول إلى اللحظة الحاسمة !

وتمنيت من كل قلبى أن تدخل (راندا) فى مقصورة المركبة الفضائية ..

إن ذلك يعنى هلاكها !

وفى أحسن الأحوال .. يحدث لها كبت هادئ لشخصيتها الاستفزازية ..

كنت مستعدًا لعمل أى شىء .. لكى أجعلها تمر بهذه التجربة الخطيرة .. المميتة !

كنا ندرك أننا على شفا حادث نجمى .. هو الأول من نوعه .. ومن ثم فنحن مضطرون لوضع مركبة فضائية .. فوق سطح النجم البارد نسبيًا.. بحيث ترسل إلينا وصفًا دقيقًا للأحداث .. حتى اللحظة النهائية .. التى يتفجر فيها قلب النجم من خلال جدار الكون .. ثم يختفى إلى الأبد ..

وكان لابد أن يقود شخص ما .. أو كائن ما .. هذه المركبة الفضائية .. بمعداتها العلمية المتطورة .. وذلك حتى يشارك فى حضور مراسم تشييع جنازة النجم ..

لقد عرفنا من ظواهر كونية أخرى .. أنه من الصعب على أجهزة المراقبة التمييز بين الحقيقة .. وتأثيرها .. فهى تتقبل المدركات الحسية .. القادمة من جهاز الاستشعار من بعد .. كتجربة خاصة بها ..

أما بالنسبة للكائنات الحية .. فيحدث لها نوع من الارتجاف الروحى .. الخارق للطبيعة . . عند مشاهدة هذه الظواهر الكونية الرائعة !

وتساءلت فى نفسى :

ـ ترى ما هو تأثير خوض غمار تجربة مباشرة .. هى الاتسحاق بعيدًا عن الوجود .. فى حالة كونية لم يسبق لها مثيل .. على الراصد المراقب؟

كنت متحمسًا لمعرفة ذلك .. ولكن ليس باعتبارى الضحية !

أخذت أفكر فى طريقة لإدخال (راندا) فى المركبة الفضائية ..

وكانت بالطبع تريد أن تفعل نفس الشىء ..

وقد قامت فعلًا بالخطوة الأولى فى هذا الصدد .. بمحاولة تخديرى .. وليس لدىَ أى فكرة عن المخدر الذى استعملته ..

فقد تمكنت (راندا) من التدخل فى برمجة الغذاء الذى أتناوله .. وأضافت إليه إحدى المواد المخدرة .. المفضلة لديها ..

وبدأت أشعر بآثار ذلك .. بعد تناول الطعام بساعة واحدة .. فقد توجهت إلى شاشة الكمبيوتر .. لدراسة الكتلة الجيّاشة .. للنجم الأسود .. ووجدت أن شكلها قد تغير كثيرًا .. عما كان عليه منذ بضعة أشهر مضت ..

وبينما كنت أنظر إليها .. وجدت الصور تلف .. وتتراقص .. وتختفى .. وظهرت ألسنة لهب غريبة .. هائلة .. عبر أرجاء النجم المحتضر !

ـ ٤ ـ

تشبثت بأحد المقاعد .. وتصبب العرق من مسام جسمى .. وتساءلت فى هلع :

ـ هل سفينتنا تنصهر ؟

بدأت الأرضية ترتفع وتنخفض فى تواتر تحت قدمى .. وظهرت أمامى قارات من الرماد المتماوج .. الناتج عن الحمم البركانية !

وقفت (راندا) بقامتها الطويلة ورائى .. وقالت لى بلهجة آمرة :

ـ هيَا معى إلى المركبة الفضائية .. إن جهاز المراقبة جاهز للإطلاق الآن .. سوف تجد أن مشاهدة اللحظات الأخيرة للنجم .. ممتعة .. ورائعة !

انطلقت خلفها .. وسرت خلال ممرات سفينة الفضاء .. التى ظهرت لى متغيرة قليلاً .. كما بدا شكل (راندا) غريبًا ..

كان جسمها العضلى .. يتماوج .. وينساب .. ككتلة هلامية .. وشعرها الذهبى المسترسل .. يعج بكل ألوان الطيف ! وجلدها متجعد وغائر .. وتبرز منه خيوط تشبه الأسلاك ..!

شعرت بهدوء .. واطمئنان بمجرد دخول مركبة الفضاء ..

وشاهدت بوضوح لوحة الأجهزة اللامعة ..

ثم فجأة .. زادت الهلوسة .. والخيالات .. ورأيت فى ظلام المركبة الفضائية .. وحشًا يشبه الديناصورات ! فسقطت على الأرضية .. وقبعت هناك أرتعد ..

أمسكتنى (راندا) .. وبالنسبة لها لم أكن أكثر من دمية .. رفعتنى .. وبدأت تدفعنى داخل المركبة الفضائية ..

تصبب العرق من جسدى .. ثم بدأت تعود إلىّ قواى ..

تملصت من قبضتها .. وتدحرجت تجاه الجدار الفاصل ..

صرخت قائلًا :

ـ لا .. لن أذهب !

توقفت وارتسمت على وجهها الضخم علامات الغضب .. وابتعدت عنى فى استسلام ..

ومكثت وحدى .. ألهث .. وأرتعش .. حتى انصرفت الأشباح من عقلى .. وعاد إليه صفاؤه ..

وكنت قد أخذت مبضعًا ليزريًا يستخدم فى التخدير .. من حقيبة الأدوات الجراحية وركبته ـ خفية ـ بأحد قرون الاستشعار التلسكوبية لـ (راندا) .. ثم برمجته لإحداث الطاعة .. وتركته لأرى تأثيره عليها .. بحيث عندما تستخدم التلسكوب .. فإن المبضع الليزرى .. يحدث تأثيرًا فى مناطق معينة بالمخ ..

وعندئذ تستجيب (راندا) لرغبتى .. فى إدخالها مركبة الفضاء ..

شاهدتها وهى تذهب إلى التلسكوب .. وسمعت بعقلى .. الهمسات الرقيقة .. التى يطلقها المبضع الليزرى .. داخل مخها .. وعرفت أن هذا هو الصوت الذى تسمعه (راندا) .. والذى يطلب منها أن تسترخى .. وتطيع :

ـ ادخلى إلى المركبة الفضائية .. وسوف تسيطرين عليها .. هيَا .. ادخلى !

توقعت .. نهوضها .. وتحركها كالشخص الذى يسير وهو نائم .. إلى المركبة الفضائية المنتظرة ..

ولكن جسمها الأبيض الضخم .. بقى ساكنا لا يتحرك ! وتموجت عضلاتها .. ثم تشبثت بالتلسكوب بقوة .. ودفعت نفسها بعيدًا عنه .. وهى تتلوى ..

اتقدت عيناها بالغضب ..

وانتصب جسمها الهائل عاليًا .. أمامى .. وعلمت أننى فشلت ..

فهناك شىء ما .. داخل عقلها الذى تكيف فى جو كوكب المريخ .. أعطاها القوة .. لتقاوم هذا الستار الضبابى .. من التنويم الليزرى !

زمجرت قائلة :

ـ أنت الذى فعلت ذلك ! لقد نفذت إحدى حيلك فى التلسكوب .. أليس كذلك ؟ ما هو هذا الشىء الذى أنشب أظفاره فى عقلى ؟ هل هو المبضع الليزرى ؟

اعترفت لها ببرود :

ـ أجل .. لكن خبرينى .. ما هو نوع المخدر الذى وضعته فى طعامى وسبّب لى الخيالات والأوهام ؟

قالت بحدة :

ـ إنه لم يُجد شيئًا معك !

ردّدت بسخرية :

ـ ولا المبضع الليزرى الذى استخدمته !

تريثت للحظات ثم أردفت قائلًا :

ـ ... أصغى إلىّ يا (راندا) .. شخص ما .. لابد أن يقود هذه المركبة الفضائية .. فبعد عدة ساعات سوف نصبح عند النقطة الحرجة .. ونحن لا نجرؤ على العودة إلى كواكبنا .. دون أن نأخذ قياساتنا .. ونسجل ملاحظاتنا .. عليك أن تقدمى على هذه التضحية ..

ثم استطردت وأنا أتشبث بالأفكار النظرية .. المثالية :

ـ .... من أجل العلم !

فجأة .. سمعنا الطنين الكئيب .. الذى يميز الكائن الغريب :

ـ النجم على وشك الانفجار .. يجب أن نتصرف الآن !

بدت مركبة الفضاء خالية ..

وحامت الكراهية حولنا .. مثل كرة من البرق تنتقل من أحدنا إلى الآخر ..

ووقف الكائن الغريب .. بجسمه الهلامى الرمادى .. فى هدوء ..

★ ★ ★

لا يهمنى من الذى فكر منا أولًا ..

(راندا) أم أنا ..

لكن المهم أننا تحركنا بسرعة ..!

غمغم الكائن الغريب ببعض كلمات الاحتجاج .. ونحن ندفعه على طول الممر الرئيسى .. ثم إلى داخل المركبة الفضائية ..

كانت (راندا) تبتسم .. وأحسست أنا بالراحة ..

أحكمنا غلق الباب .. ثم قالت (راندا) بسرعة :

ـ (مجدى) ! أطلق المركبة الفضائية ..

أومأت برأسى .. ثم ذهبت إلى أجهزة القيادة لسفينة الفضاء ..

ضغطت على بعض الأزرار .. وسرعان ما انطلقت مركبة الفضاء .. كسهم مندفع .. إلى سطح النجم الأسود ..

كانت تحتوى على أرجل مفصلية قوية .. يتم التحكم فيها بجهاز استشعار من بعد ..

شغّل الكائن الغريب المركبة الفضائية .. ببراعة .. وأخذنا نلاحظ من خلال أجهزة الالتقاط التلفيزيونية .. ما نحصل عليه من رؤية عن قرب لهذا الجحيم ..

إذ حتى الشمس الباردة .. أكثر سخونة بشكل مروع .. من أى كوكب يعيش عليه البشر ..

كان عقل الكائن الغريب .. يتعايش مع هذا المنظر ..

قوى الجاذبية المروعة الناشئة عن المد والجزر النجمى .. كانت موجودة على النجم المحتضر ..

واقتربت اللحظة التى ليس لها مثيل من قبل .. فى تاريخ معرفتنا بالكون ..

قوى المد والجزر .. بدأت ترتفع قيمتها إلى ما لانهاية ..

بدا أن الكائن الغريب متحيرًا أخيرًا .. وهو يحاول وصف الظواهر الكونية .. التى لم ترها عين من قبل ..

كثافة لا نهائية ..

وحجم منعدم ..

ثقب أسود !!

كيف يتأتى للعقل أن يفهم ذلك ؟!

لقد التوت المركبة الفضائية .. بحيث أصبح من الصعب وصف شكلها .. وسط هذا التفرد المطلق من الزمان .. والمكان ..!

بيد أن أجهزتها الحساسة .. استمرت بعناد فى إرسال البيانات .. وترشيحها خلال عقل الكائن الغريب .. ثم تخزينها فى ذاكرة الكمبيوتر الرئيسى لسفينتنا ..

★ ★ ★

ساد الصمت التام .. وتلاشت الحياة من فوق شاشتنا ..

الحادث الذى لا يمكن تصديقه وقع أخيرًا .. وتقلص النجم الأسود .. إلى نصف قطر غريب ..

تقوض النجم إلى دائرة النسيان .. مجرد ثقب أسود !

وأخذ معه المركبة الفضائية .. ربما عبر نفق كونى .. إلى ثقب أبيض .. حيث تنطلق المادة .. بدلًا من أن تُبتلع !

ويبدو أن الكائن الغريب قد تلاشى هو الآخر .. فى عمق الفضاء المطلق .. الذى يفوق كل فهم .. وإدراك ..

التقطت أجهزة استقبالنا .. انفلات الطاقة المقترن بالفناء ..

قاومنا الموجة الصدمية .. التى شقت طريقها إلى الخارج .. من المكان الذى كان فيه النجم .. ثم ساد الهدوء كل شىء ..!

ـ ٥ ـ

نحن الآن فى طريق عودتنا إلى كوكبى المنظومة الشمسية .. المريخ والأرض .. بعد أن استكملنا أهداف بعثتنا العلمية .. وحصلنا على معلومات فلكية بالغة الأهمية .. لا تقدر بثمن .. عن تكوين الثقب الأسود .. أغرب الظواهر الفلكية .. فى الكون !

أخذنا نؤدى مهماتنا اليومية .. الروتينية .. بانتظام .. وبتنسيق مشترك ..

وانتهت كل الصراعات بيننا .. وأدركنا أننا شركاء فى الجريمة .. وأننا متوتران بسبب إحساسنا بالذنب ! الذى لا يعترف به كل منا للآخر ..

وأيقنا بأن كلانا بشر .. أما الكائن الغريب فليس كذلك ..

وقررت أنا و (راندا) أن نتعاون دائمًا .. فهناك روابط أخوية .. قوية .. بيننا .. تجمعنا سويًا ..

رابطة الدم !

ازدادت سرعة سفينتنا .. تجاه مجرة الطريق اللبنى .. والمنظومة الشمسية .. حيث المدنية .. والحضارة .. والأهل ..

إن (راندا) تبتسم لى الآن .. لأول مرة .. منذ بدء رحلتنا .. وبرغم عضلاتها .. وضخامة جسمها .. إلا أننى لم أعد أكرهها !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الجائزة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

صاح العالم السويدى الأول :

- لا يمكننا أن نفعل ذلك ! ببساطة لا يمكن أن نعطى جائزة نوبل فى الطب إلى (ك.م.ض) !!

ثم خلد إلى الصمت ..

قال العالم الثانى :

- لا يمكننا أن نفعل أى شىء الآن !

رد العالم الأول بعصبية :

- ما زال بإمكاننا أن نمنح الجائزة (لشخص) آخر !

تنهد العالم الثانى وقال :

- لا توجد أية فرصة لذلك .. لقد قلنا الكثير فعلًا للصحافة .. وأصبح من المعروف فى جميع أنحاء العالم .. أن جائزة نوبل فى الطب .. سوف تمنح هذا العام لمكتشف دواء علاج الإيدز !

ثم أردف بعد فترة قائلًا :

- ... لو غيرنا قرارنا الآن .. فسوف توجه إلينا الصحافة .. سيلًا من مختلف أنواع الأسئلة المحرجة .

ابتسم العالم الأول وقال :

- أستطيع أن أتخيل ما سيحدث .. المأدبة الفاخرة والزهور والعلماء فى ثياب رسمية .. ووسائل الإعلام من كل أنحاء العالم .. وأحد المسئولين يعلن منح جائزة نوبل فى الطب إلى .... ! ثم السكون المطبق .. عندما يرى الحاضرون .. الفائز بالجائزة !!

تريث لبرهة ثم أضاف قائلًا :

- ... لابد أن هناك طريقة ما لحل هذه المشكلة !.. وعمومًا .. قاطعه العالم الثانى بنفاد صبر قائلًا :

- لا أظن ذلك ! إن الوسائل فى هذه القضية لا تهمنا مثل نتائجها .. ولا نستطيع أن نقول إن مشكلة مرض الإيدز .. تم حلها نهائيًا !

ثم تنهد وأدرف قائلًا :

- ... إن الحقيقة المؤكدة أن (ك.م.ض) هو الذى قام بالعمل !!

رد العالم الأول بمرارة :

- (ك.م.ض) .. كمبيوتر متطور ضوئى .. آلة تفوز بجائزة نوبل فى الطب !!

إن هذا شىء رائع !

هز العالم الثانى رأسه وقال :

- كلا .. ليس هذا شيئًا رائعًا .. لسوء الحظ ! ولا أجد أى مخرج أمامنا .. بل إننا حتى لا نستطيع أن نمنح الجائزة إلى فريق المهندسين الذين صمموا جهاز الكمبيوتر المتطور الضوئى .. لأنه «ه» الذى وضع الحقائق جنبًا إلى جنب .. وقام باستخراج النتائج .. ومن ثم التوصل إلى علاج لمرض الإيدز !

تساءل العالم الأول بسرعة :

- هل هناك طريقة يمكن بها أن نحافظ على سرية إهداء الجائزة ؟

رد العالم الثانى بصوت مفعم بالأسى :

- لا أظن ذلك للأسف ! فإهداء جائزة نوبل يتم علنًا أمام الناس .. ويذاع فى كل وسائل الإعلام فى العالم .. تمامًا مثل حفل إهداء جوائز أوسكار السينمائية !

ابتسم العالم الأول بسخرية قائلًا :

- إننى أتخيل مدى ردود الفعل التى ستحدث .. عندما يظهر الفائز بالجائزة .. بكل روعته المعدنية .. مكعب من الصلب الرمادى المتألق .. طول ضلعه متران .. ممتلئ بالرقاقات الإلكترونية البيولوجية التى تعمل بسرعة الضوء .. كامل بلوحة المفاتيح البيضاوية والطابعة الليزرية ..

ثم قهقه وهو يستطرد قائلًا :

- ولكن أخبرنى .. أين سيعلقون الوسام الذى يعطى لكل حائز على جائزة نوبل ؟

ارتعد العالم الثانى وهمس :

- لا أدرى !.. ولكننا مضطرون لمنح الجائزة كما خطط لها بالضبط .. إذ لا أجد أى بديل آخر !

قال العالم الأول مؤكدًا :

- حقًا .. لا يوجد أى سبب يمنع الكمبيوتر من استلام الجائزة ! إن الشروط تنص فقط على أنها تقدم لمن يقدم أعظم إسهام فى الطب أو علم وظائف الأعضاء .. بغض النظر عن جنسيته أو طبيعته !

تساءل العالم الثانى متهيبًا :

- إننى أعجب كيف ينظر جلالة ملك السويد إلى هذا الأمر ؟!

شهق العالم الأول قائلًا :

- الملك ! لقد نسيت ذلك تمامًا !!

ردّ العالم الثانى ببطء :

- أعتقد أنه علينا أن نتقبل ذلك .. ولعله يُعجب بروح الدعابة فى الموضوع كله !

علّق العالم الأول بقوله :

- إن كارل جوستاف ملك عظيم .. لكنه هناك حدود !

ردّ العالم الثانى بثقة :

- إننى واثق بأن جلالته سوف يتعاون معنا .. إن لديه إحساسًا قويًا بالواجب !

تساءل العالم الأول بعد فترة :

- كيف ننظر إذن إلى الموضوع ؟

تريث العالم الثانى قليلًا ، ثم قال :

- إننا فقط نختار المرشحين طبقًا للقواعد .. ووفق طبيعة إسهاماتهم الفعلية .. والواضح أن (ك . م . ض) .. أبرز مرشح فى الطب لهذه السنة .. وأنه يستحق الجائزة .. وسنكون قد تهاونا فى المبادئ .. لو لم نمنحها بالحق .. والعدل !

قال العالم الأول باكتئاب :

- أعتقد أنك على صواب .. فأنا لا أرى أى سبب معقول لحجب الجائزة !

ثم تريث لثوان ، ثم أردف قائلًا :

- ... إن هذه مشكلة تواجه الملك !

ردّ العالم الثانى بصوت مفعم بالحيرة :

ـ ماذا تعنى بقولك .. هذه مشكلة تواجه الملك !!

قال العالم الأول فى هدوء :

ـ من بيننا جميعًا .. فإن ملك السويد سوف يقوم بأصعب دور .. فكما تعلم فإنه يعقب توزيع جوائز نوبل .. مأدبة ملكية للفائزين !

تساءل العالم الثانى فى همس :

ـ حسن .. وماذا فى ذلك ؟

ردّ العالم الأول بتؤدة :

ـ إن جلالته هو المضيف .. فكيف سوف يتناول العشاء .. مع كمبيوتر ؟!

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

تذكار ..
من كوكب الأرض

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع محمد سلطان باشا - القاهرة - ت ٩٠٨٥٥٥

جلس تاجر الفضاء العجوز بارتياح فى مقعده .. بسفينته الفضائية الصغيرة .. التى تتسع لشخص واحد ..

أحكم ربط الأحزمة الجلدية المتآكلة حول جسمه ..

وكانت الغرفة التى تقع خلف ظهره .. ممتلئة تمامًا .. بأمتعته .. ومتعلقاته .. وبضاعته ..

تنهد تاجر الفضاء .. إذ مضت سنتان منذ أن هبط فوق كوكب الأرض .. آخر مرة .. للتزود بما يلزمه من وقود .. وسلع ..

وفى هذا الوقت .. كان قد باع أقل من ربع ما لديه من البضائع !

- ١ -

كان لدى تاجر الفضاء العجوز .. تذكارات كثيرة من كوكب الأرض .. وطنه الأصلى ..

كانت عنده تسجيلات تسترجع لرجال المستوطنات الفضائية .. التى على كواكب المنظومة الشمسية .. أصوات الأمواج .. وهى تتكسر على الشواطئ .. وصفير الرياح وهى تتخلل الأشجار الباسقة .. وتغريد الطيور فى الفجر ..

وحتى ضوضاء المرور الصاخب .. فوق طرقات مدن كوكب الأرض !

كان لديه أيضًا زهور .. طائر الجنة .. والبنفسج .. والورد البلدى .. حفظت رائحتها الجميلة .. وأشكالها الرائعة .. فى زجاجات مفرغة الهواء ..

وتذكر أنه منذ كان طفلًا صغيرًا .. ومستوطنات الكواكب ما زالت حديثة العهد .. تسابق الرجال والنساء الذين وصلوا منذ زمن قصير .. لشراء هذه التذكارات ..

لكن التاجر العجوز .. عاش أطول منهم كثيرًا .. ورأى بعينى رأسه .. الرواد الأوائل يشيخون .. ويموتون .. أو يعودون إلى كوكب الأرض .. إلى الأبد .. تاركين وراءهم جيلًا جديدًا .. بأكمله .. وكثيرًا من الصغار .. الذين ولدوا على كواكب غريبة .. لم يروا كوكب الأرض .. مرة واحدة ..

ولذلك لم تكن لديهم حاجة لأى من تذكارات .. تاجر الفضاء العجوز .. التى تسترجع عبق الماضى !

لم يكن غريبًا أن تاجر الفضاء .. كان ضعيفًا .. نحيلًا .. وقد انتابه السأم .. من كيفية الحصول على رزقه .. وأصبح دائم الترحال .. هنا وهناك فى الفضاء ..

كم تاق لقضاء بضع سنوات .. وادعة فى وطنه الأصلى .. لكن ذلك لم يكن أكثر من حلم بعيد المنال ..

وفى أوقات الرخاء .. أنفق كل ما كان يدخره ..

والآن .. لم يعد لديه نقود كافية ليتقاعد .. ويترك العمل ..

★ ★ ★

حان وقت الهبوط فوق كوكب الزهرة .. لعله يصادف هناك حظًا أفضل ..

وأدرك أن عليه التفكير فى أسلوب أفضل وجديد للدعاية .. يسر هؤلاء المستوطنين الفضائيين الصغار .. من الأجيال الجديدة ..

.لمس تاجر الفضاء العجوز .. ذراع القيادة الذى أمامه .. وسرعان ما دبت الحياة فى المحرك النفاث .. لكن عويل طاقته .. ذا الطبقة الصوتية العالية .. لم يدم طويلًا ..

وفى بضع ثوان .. سعل المحرك .. ثم توقف ! ليسود صمت مروّع ..

أبدى التاجر العجوز صوتًا ينم عن التذمر .. والضيق ..

كانت سفينة الفضاء الصغيرة .. قد تآكلت مثله تمامًا .. وتحتاج لترميم كامل ..

ولحسن الحظ كان يعرف أجزاء المحرك .. أفضل مما يعرف نفسه ! لذلك لم تمر سوى عشر دقائق .. إلا وعاد المحرك ينبض مرة أخرى .. وينشد أغنية الطاقة ..

واتخذ تاجر الفضاء طريقه .. إلى كوكب الزهرة !

ـ ٢ ـ

من بين جميع كواكب المنظومة الشمسية .. التى انتصر فيها الإنسان .. على كائناتها الغريبة .. لإنشاء مستوطنات فضائية .. كان التاجر العجوز يكره .. كوكب الزهرة. أكثر من أى كوكب آخر .. إذ كان هناك شرّ ما يكمن فى جوه السميك .. سحب وطبقات كثيفة من غاز ثانى أكسيد الكربون .. تدور وتحدث دوامات مروّعة .. وتنساب مندفعة فى شكل خيوط طويلة غير منتظمة .. من الضباب الأخضر الداكن ..

وفى مركز الكوكب .. نيكل وحديد .. يحيط بهما غلاف وقشرة من أملاح مشتقة من ثانى أكسيد السليكون.

★ ★ ★

وبعناية بالغة .. ضبط تاجر الفضاء العجوز .. قناع تنفسه .. وحمل عيناته .. وانطلق يسير على الممر الطويل .. من منطقة الهبوط .. إلى القبب البلاستيكية التى تحيط بالمستوطنة .. فوق كوكب الزهرة ..

كان الممر أسفل قدميه . به طبقة كثيفة من الخرسانة وألياف الكربون ..

وعلى حافته .. مجموعة من الرشاشات .. التى تطلق باستمرار رذاذ مادة سامة .. من سيانور البوتاسيوم المخفف .. لمنع اقتراب النباتات المفترسة العملاقة .. التى تنمو هنا بكثرة .. حتى أن غابات ضخمة منها .. غطت أكثر من نصف سطح الكوكب ..

ويبدو أن وقت رش دفعة جديدة من المادة السامة .. قد مضى منذ زمن طويل .. إذ أن النباتات تكاثرت حتى مسافة نحو خمسة أمتار من الممر .. لدرجة أن التاجر العجوز .. ارتعد جسمه .. عندما رآها قريبة هكذا ..

كانت النباتات المفترسة .. ذات سيقان لينة .. ولون أبيض مصفر .. وبدت له ضخمة .. فى حجم أشجار الأرض .. ولكنها تنمو بمعدل مخيف ..

كانت أغصانها الملتوية عديمة الأوراق .. تنتهى بزواند طويلة .. تنبض .. وتعبر عن حياتها الكنيبة .. وهى تندفع إلى كل اتجاه .. لكى توقع فى شراكها .. أى كائن حى .. يجرؤ على الاقتراب منها !

★ ★ ★

حمل حقيبة العينات الثقيلة على ذراعه .. سبب له ألمًا خفيفًا فى كتفه ..

وتحركت شفتا التاجر العجوز .. وهو يغمغم لنفسه متذمرًا من قائد منطقة الهبوط .. الذى لم يعرض عليه .. أن يوصله إلى المستوطنة الفضائية .. وتركه يسير على قدميه ..

برزت أول القباب البلاستيكية من وسط الضباب .. كانت عبارة عن مصانع ضخمة .. تضج بالضوضاء والحيوية .. وتعج بالكثير

من الآلات والأجهزة التى يشغلها .. ويتعهدها .. سكان كوكب الزهرة ..

مضى التاجر العجوز فى طريقه .. وكان كل أمله أن يبيع بضاعته لأولئك المستوطنين .. الذين يقضون وقت راحتهم فى قبة الاستجمام .. والتسلية .. لكنه توقف قليلًا .. كما كان يفعل دائمًا .. بجانب قبة الأبحاث ..

كانت هذه القبة .. ذات جدران بلاستيكية .. مطلية باللون الأسود .. لكى تغلق الطريق أمام العيون المتطفلة ..

بدت له وهى جاثمة فى مكانها كخنفساء عملاقه ..

هز التاجر العجوز رأسه متحيرًا .. ثم قال لنفسه :

ـ إننى مندهش من تصور فكرة أن الرجال والنساء والأطفال .. يقيمون طيلة حياتهم داخل هذه الجدران .. القاتمة المعتمة .. لا يتركونها قط إلا يوم وفاتهم .. كل ذلك بناء على طلب جهاز الأمن الداخلى .. لكوكب الزهرة !

كان الضوء ينبعث من داخل قبة التسلية .. والاستجمام .. بحيث انقشع أى ضباب من أمامها .. وأمكن للتاجر العجوز أن يرى .. أنها مكتظة بأهل الزهرة .. وهم يتمتعون بوقت فراغهم ..

جلس بعضهم فى مقاعد وثيرة يقرءون .. أو يتحدثون .. لكن معظمهم فى مقاعد احتشدوا حول أجهزة كمبيوتر .. وانخرطوا فى ألعاب فيديو .. لا تنتهى ..

وبمجرد أن لمس تاجر الفضاء الباب الخارجى .. انفتح جانبًا .. بصرير مرتفع ..

استدار أهل الزهرة .. ليحدقوا فى القادم ..

اتسعت حدقات عيونهم .. وتجمدت التعبيرات على وجوههم الشاحبة .. دليلًا على التوتر .. فقد كانوا يخشون انفتاح الباب .. خوفًا من وقوع أى حادث .. يعكر صفو نظام الأمن المثالى السائد .. داخل قبابهم البلاستيكية ..

أدركوا أنه لم يكن سوى تاجر الفضاء العجوز .. وعندئذ ارتاحت أعصاب الجميع .. وتنفس بعضهم الصعداء .. وهو يعود لما كان عليه من قضاء وقت الفراغ .. بدون أن يتجشم عناء ابتسامة واحدة .. أو إشارة للتحية ..

وضع التاجر العجوز حقيبته .. وأجبر شفتيه الجافتين .. المتغضنتين .. على ما يمكن أن يعتبر ابتسامة ودية .. مرحة ..

جول هنا وهناك .. ولكن أحدًا لم يعره أى اهتمام ..

كانت وجوه الجالسين خالية من أى تعبير أو انفعال ..

شعر بالشفقة عليهم .. فقد ظهروا له كمجموعة من حيوانات السيرك المدربة .. التى تتوفر لها الحراسة .. وتُلبى كل طلباتها ..

كانوا موجودين .. ولكن ليسوا أحياء !

وقف بجانب أحد أجهزة الكمبيوتر .. وراقب أحد الأشخاص .. وهو يمارس إحدى الألعاب الإلكترونية .. وقال له بحماس مفتعل :

ـ لقد أحسنت يا سيِّدى .

رفع اللاعب بصره إليه ثم قال بصوت خافت :

ـ إنه ليس إلا تاجر الفضاء العجوز .. هل عدت مرة أخرى ؟

ـ أجل .. لقد عدت إلى هنا مرة أخرى .. ولدىّ أشياء رائعة لكى أعرضها عليكم ..

سأله أحد اللاعبين :

ـ هل أنت جائع أيها التاجر العجوز ؟

كانت لهجته تعبر عن السخرية .. والاحتقار ..

تلاشت ابتسامة تاجر الفضاء .. وتغضن وجهه ..

بالطبع كان جائعًا .. إذ لم يكن يملك أن يشحن سفينته بالطعام الذى يكفيه فى رحلاته الطويلة .. ودائمًا كان يصل إلى أى كوكب .. وهو جائع .. وهم يعرفون ذلك جيدًا ..

ـ انتبه جيدًا لحصة طعامك .. إن التاجر العجوز موجود هنا ..

ساد جو القبة البلاستيكية .. همسات ساخرة .. وقهقهات قصيرة .. غبية .. ساخرة :

ـ تاجر الفضاء العجوز جائع .. إنه جائع دائمًا .. لقد جاء يستجدى طعامًا له .

وعند ذكر الطعام .. سال لعاب الرجل العجوز .. وانفتحت شهيته المكبوتة .. وتلوت أمعاؤه طالبة الإشباع الفورى .. وحارمة إياه من كبريائه ..

أومأ أحد الأشخاص تجاه منضدة قريبة .. كان عليها طعام شهى ..

إنسل التاجر العجوز مبتعدًا .. ولكنه بحركة ماكرة .. انتقامية .. استدار وصاح :

ـ عليكم أن تشغلوا الرشاشات التى فى الخارج بسرعة .. لقد شاهدت النباتات المفترسة .. وهى تصل تقريبًا إلى الممرات ..

وأسعده أن يرى بريق الخوف من المستقبل .. فوق وجوههم الشاحبة !

وقف تاجر الفضاء .. وهو يبدو صغير الجسم .. ضعيف البدن .. مجعد الوجه .. أمام منضدة الطعام .. وهو يشبع جوعه بمجرد النظر بتركيز شديد ..

ارتعشت شفتاه .. وترقرقت فى عينيه .. دموع امتهان كرامة رجل عجوز !

وعاد أهل كوكب الزهرة إلى ألعابهم .. ونسوا كل شىء عنه ..

لذلك أدهشه أن يشعر بلمسة حانية على ذراعه .. ويسمع صوتًا خجولًا يقول له :

ـ إنك تزور كواكب كثيرة .. أليس كذلك ؟

كان يقف إلى جواره .. شاب فى نحو السادسة عشرة من عمره ..

ـ أجل يا بنى .. إننى أرحل من كوكب .. لأهبط فوق كوكب آخر ..

تساءل الشاب فى لهفة :

ـ هل مستوطنات الكواكب .. تشبه مستوطنتنا هذه ؟

تردد التاجر العجوز قليلًا ، ثم أجاب :

ـ لحد ما .. الكوكب الوحيد المختلف هو .. الأرض ..!

صمت الشاب لبرهة ، ثم قال :

ـ إن جدى جاء من كوكب الأرض .. إننى لم أره قط !

ارتجف تاجر الفضاء .. ولم يندهش .. فمنذ زمن طويل .. عندما كان هو نفسه شابًا صغيرًا .. غادر الرجال الشجعان الأبطال .. كوكب الأرض .. بالآلاف ..ليواجهوا المهالك .. والأهوال الخفية .. فى استعمارهم لهذه الكواكب .. ولم يطل عمر الكثيرين منهم .. ليروا أحفادهم !

ـ ما هو شكل كوكب الأرض ؟

نظر الرجل العجوز إلى الشاب باهتمام ..

كانت هناك نظرة غريبة فى عينيه ..

لقد رأى مثل هذا التعبير من قبل .. ولكنه لا يتذكر متى وأين حدث ذلك :

ـ يا بنى .. إن كوكب الأرض .. هو التراث الحقيقى للإنسان .. فهناك يسير فوق العشب الأخضر .. بينما ظهره دافئ من أشعة الشمس الوهاجة .. فى سماء زرقاء صافية .. هناك يتنفس الإنسان هواء عذبًا نقيًا ..

توقف الرجل العجوز لينظر مرة أخرى .. نظرة فاحصة إلى عينى الشاب .. ووجد أن التعبير الغريب الذى فى عينيه .. حيوىَ .. وليس خاليًا من الإحساس .. مثل باقى أهل كوكب الزهرة !

فجأة .. انطلق إنذار غامض فى مكان ما بمؤخرة عقل .. التاجر العجوز ..

لكن لم يكن لديه وقت للبحث عن معناه .. لأن الشاب استدار دون أن ينطق بأى كلمة أخرى .. وعبر بخطوات واسعة إلى الجانب الآخر من القبة البلاستيكية ..

هزَّ تاجر الفضاء كتفيه .. وأخذ يتناول طعامه .. لعل حظه تغير .. إذ قد يتمكن من أن يبيع لهذا الشاب .. حفنة من حشائش الأرض الخضراء .. أو زهرة أوركيد .. معبأة فى زجاجة ..!

سمع الرجل العجوز .. الصرير الخافت لفتح الباب الخارجى ..

كان يعرف أن سكان كوكب الزهرة .. سوف يحدقون فى رعب .. لذلك لم يستدر إلى الخلف ..

ثم سمع صوت زحزحة المقاعد .. وهمهمة عالية ..

كان متلهفًا لمعرفة ما الذى أقلق المستوطنين الآمنين .. إلى هذا الحد .. لاحظ أنهم تركوا ألعاب الفيديو .. واحتشد بعضهم بجوار البعض .. فى الناحية البعيدة من القبة .. يحدقون مشدوهين إلى الخارج .. من وراء الجدران البلاستيكية ..

انضم إليهم تاجر الفضاء .. وهو يوجه حديثه إلى أقرب رجل إليه :

ـ ما الذى حدث ؟

لم يلتفت إليه الرجل وهو يقول :

ـ إنه أحد الشباب .. لقد ذهب إلى الخارج .. وترك الممر .. وتوغل فى غابة النباتات المفترسة !

تساءل العجوز بدهشة :

ـ لكن ما الذى دعاه لكى يفعل ذلك ؟

ردَ الرجل فى حيرة :

ـ لا أدرى .. ولكننى أعتقد أنها الكلوستروفوبيا !

صمت الرجل قليلًا ، ثم أردف قائلًا :

ـ ... إنه اصطلاح فى علم النفس .. استخدم منذ زمن طويل .. لوصف نوع من الخوف المرضى من الأماكن الضيقة .. وهو مرض كان فى وقت من الأوقات أداة عقاب لمستوطنى الكواكب .. وكان يصاب به الرجال الذين ولدوا وتربوا فوق كوكب الأرض ..وله تأثير مميت .. إذ أن الذين أصيبوا به .. شعروا برغبة لاتقاوم .. فى الانطلاق هائمين على وجوههم فى البرية كما فعل أجدادهم من قبل .. وقبل أن يمنعهم أحد .. كانوا يلقون بأنفسهم إلى خارج القباب البلاستيكية الواقية .. ليواجهوا الأهوال والأخطار التى تنتظرهم فى أحضان النباتات المفترسة !

لقد انقضى وقت طويل منذ أن سمع فيها الرجل العجوز .. عن إحدى حالات الخوف المرضى من الأماكن المغلقة .. الكلوستروفوبيا ! وأدرك أنه خلال حياته الطويلة .. نسى الكثير من الأحداث .. إذ فشل فى تعرف العلامات المبكرة فى عينى الشاب الذى سأله عن كوكب الأرض ..

والآن بعد أن تحدث ببلاهة عن الحقول والمزارع المنبسطة .. والسماء الزرقاء .. فلا شك أنه قد دفع الشاب .. إلى ملاقاة حتفه ..

بدأ أهل الزهرة ينتشرون فى داخل القبة البلاستيكية ..

ولمس التاجر العجوز ذراع رجل طويل القامة وسأله :

ـ أخبرنى .. هل أخذ الشاب معه قناع التنفس ؟

هزَّ الرجل رأسه وأجاب :

ـ يمكنك أن تخرج إليه .. وترجعه إلى هنا !

تحدث تاجر الفضاء العجوز بصوت عال .. مما حدا بهم جميعًا إلى أن يلتفتوا إليه غير مصدقين ..

قال لهم :

ـ ألن تخرجوا وتحضروا الشاب إلى هنا ؟

ردوا عليه بسخرية بالغة :

ـ أيها العجوز المعتوه ! لن يستطيع أحد أن يعيش هناك .. بين النباتات المفترسة !

كانوا يتهامسون .. وهم يبتعدون عن التاجر العجوز ..

راقبهم وهم يعودون إلى لهوهم .. ولعبهم العابث ..

ثم سمع عويلًا واهنًا يائسًا .. لأم الشاب !

★ ★ ★

وقف تاجر الفضاء العجوز حائرًا .. وسط القبة البلاستيكية .. وسأل نفسه :

ـ ترى أى نوع من البشر أولئك الذين تربوا وعاشوا هنا ؟ كيف أمكن أن يصبح أبناء وأحفاد رواد الفضاء الأوائل .. الذين قاتلوا

وماتوا لإنشاء هذه المستوطنات فوق الكواكب ، على هذا النحو من الجبن ؟ لعلهم لم يتحملوا أية مسئولية فى حياتهم المرفهة هذه .. فكيف يعرفون الشجاعة ؟

رفع الرجل العجوز كتفيه .. وزم شفتيه لإخفاء رعشتهما ..

إنه لم ينس بعد .. القيم الإنسانية النبيلة .. وسوف يرى هؤلاء البشر التعساء .. أنه ما زال هناك رجل واحد .. يعرف كيف يضحى بحياته إذا لزم الأمر .. لإنقاذ طفل .. أو صديق .. أو حتى شخص غريب عنه ..

تناول تاجر الفضاء العجوز .. قناع تنفس جديدًا من على الرف .. وبلطة حادة قوية .. وأخرى وضعها فى حزامه الجلدى .. ثم تريث برهة عند مدخل القبة البلاستيكية .. وصاح قائلًا :

ـ إننى خارج لإرجاع الشاب إلى هنا .. هل يأتى أى منكم معى ؟

لم يتحرك أحد .. ولم ينطق شخص ما .. بحرف واحد .. تردد العجوز للحظة واحدة .. ثم فتح الأبواب الإلكترونية .. وخطا إلى خارج القبة البلاستيكية !

ـ ٣ ـ

كانت القبة محاطة لمسافة قصيرة .. بأرض خرسانية .. ولكنه بمجرد أن ابتعد عن الممر الصلب .. غاصت قدماه فى كتل طينية من الجذور الضخمة .. التى تلوت .. وأخذت ترتفع وتنخفض عند لمسه إياها ..

ارتعدت أوصال التاجر العجوز .. وأحكم قبضته على البلطة الحادة .. ثم وثب فوق صخرة مستوية صغيرة .. وشق طريقه مستخدمًا الصخور المتناثرة .. كأماكن ارتكاز يخطو فوقها .. تقدم إلى الأمام .. وعيناه الواهنتان .. تحدقان فى الضباب الأخضر .. الرقيق .. لكنه لم ير أى أثر للشاب !

وشاهد النباتات العملاقة ذات الزوائد والأطراف .. التى تنبض وترتعش .. ملتفة بقوة حول كتلة متخشبة .. مهضومة جزئيًا .. هى كل ما تبقى من حيوان كبير !

ولاشك أن الحيوان .. قد استخدم أسنانه القاطعة الحادة فى الدفاع باستماتة عن حياته ..

إذ أن المنطقة كانت ممتلئة ببقايا متناثرة هنا وهناك .. من النبات الذى تقطع وتمزق فى أثناء الصراع ..

كانت قطعان من الحيوانات الآكلة للفضلات .. والأعشاب .. قد بدأت فى الاحتشاد قريبًا منه .. ولاحظ أنها تتجمع فوق الأجزاء المقطوعة من النبات ..

كان تاجر الفضاء العجوز قريبًا .. لدرجة أنه سمع أصوات القرض والبلع والهضم .. التى تصدرها هذه الحيوانات .. وهى تلتهم فى نهم الأطراف الميتة للنبات .. ففغم بصلاة صامتة من أجل سلامة الشاب ..

ثم سار إلى الأمام .. وذهنه صاف تمامًا .. ويقظ لأقل حركة للنباتات .. فقد كانت أطرافها الحادة .. تمتد للوصول إليه ..

وبمجرد أن لمست جسده .. ضربها بكلتا بلطتيه .. فأحدث بها قطعيات .. وندبات غائرة .. وشعر براحة عندما رأى أن قطع أطرافها .. جعلها تنكمش .. وتتراجع لتكمن فى وضع جامد ..

كان امتداد النبات .. وانتشاره .. قويًا لا يمكن مقاومته .. ولمسته للجلد مقززة ! ومع ذلك استمر التاجر العجوز .. يشق طريقه بجسارة .. وسط الغابة الكثيفة .. وبعد عشر دقائق من هذه الرحلة الرهيبة .. بدأ يشعر باليأس ..

فقد أدرك أنه من غير المعقول .. أن يكون الشاب قد عاش كل المدة التى انقضت حتى هذه اللحظة ..

وفجأة .. رآه جاثمًا عند سيقان أحد النباتات .. وأطرافها ملتفة بقوة حول جسده .. وبدأت عصارات الهضم النباتية فى الانطلاق .. والانسكاب فوق جسد الشاب .. فى فيضان أبيض لزج !

وعلى غير ما توقع تاجر الفضاء .. فقد أصبحت الحيوانات حليفة له .. إذ أخذت أعدادها تتزايد باستمرار .. واندفعت إلى الأمام .. بعد أن شحذت شهيتها بالتهام قطع النباتات الصغيرة .. التى نثرها على طريقه ..

انتظر التاجر العجوز فى حرص .. ولم يشتت الحيوانات القارضة بعيدًا .. وهى تتجمع حول جسم الشاب .. الملقى على الأرض .. واستخدمت أسنانها الإبرية الحادة .. وشفاهها الطرية الضخمة .. فى قضم أجزاء من النبات .. ومص العصارات الهضمية اللزجة ..

لم تكن هذه الحيوانات آكلة للحوم ..

وبمجرد أن تخلص جسم الشاب تمامًا من براثن النبات .. تركته .. وهاجمت النبات المفترس الحىّ .. بعد أن تشجعت بسبب الازدياد الهائل لأعدادها ..

وأخذ النبات المفترس العملاق .. يتلوى .. كما لو كان يعانى آلام الاحتضار !

لكن التاجر العجوز لم يكن لديه الوقت .. ليراقب نهاية الصراع .. فقد كانت بعض النباتات الأخرى تمتد إليه .. محاولة الإمساك به ..

انحنى لأسفل .. وسحب ذراع الشاب فاقد الوعى .. وسنده بإحدى ذراعيه .. وأمسك البلطة بذراعه الأخرى .. ثم مضى فى طريق رحلة عودته الشاقة .. إلى الأمان ..

أخذ أنفاسه بصعوبة بالغة .. وأعضاء جسم الشاب تثقل كاهله .. وتضغط على ذراعه .. وبدأت قواه تخور بسرعة .. والنباتات من حوله تحاول الانقضاض عليه ..

وأخيرًا ظهرت القبة البلاستيكية .. من خلال الضباب الأخضر .. كل خطوة كانت تزيد من معاناته .. وآلامه ..

وأصبحت مئات الحيوانات تسير فى إثره ..

وقال التاجر العجوز فى نفسه :

ـ أحمد الله .. الذى أرسل هذه الحيوانات لمساعدتى .. وتحت تأثير شهوتها الفائقة للطعام .. فإن هذه الحيوانات الآكلة للعشب .. لم تعد تقنع بقطع النباتات الصغيرة .. بل إنها هاجمت النباتات الحية ذاتها .. لدرجة أن الأطراف الضخمة لهذه النباتات .. تراجعت أمام شهيتها .. ونهمها .. الفائقين ..

وببطء اقترب من القبة البلاستيكية ..

كبر حجمها .. واتضحت معالمها ..

الآن .. لن يفشل فى مهمته !

ـ ٥ ـ

كان التاجر العجوز .. ضعيفًا .. متهالكًا .. يرتعد من فرط التعب .. عندما ترنح داخلًا من باب القبة البلاستيكية .. بحمولته الثمينة ..!

حدق فيه أهل كوكب الزهرة .. وتعبيراتهم تتغير من الدهشة .. إلى الإعجاب الممزوج بالخوف ..

وبعد ذلك التفوا جميعًا حوله .. وهم يسلمون عليه .. ويربتون على ظهره .. ويصيحون معبرين عن سعادتهم .. وفرحتهم ..

لم يكن الشاب .. قد لحقت به إصابات بالغة .. فى أثناء محنته التى تعرض لها .. وعندما اكتشف سكان كوكب الزهرة ذلك .. أصيبوا بالهستيريا .. من فرط سرورهم .. وامتنانهم .. إذ لم يكونوا يعبرون عادة عن عواطفهم .. إلا نادرًا .. بحكم وجودهم الدائم فى أماكن مغلقة .. محدودة !

ألحوا على التاجر العجوز .. ليقبل أى مكافأة .. لكنه رفض ذلك ..

واعتقد أن مما يقلل نصره .. وفخاره .. والانجاز الذى قام به .. أن يقبل أى مبلغ نظير شجاعته !

ومع ذلك فقد كان محتاجًا للمال ..

وخطر له أن حل هذا الموقف .. سهل جدًا .. فإذا أرادوا حقًا مكافأته .. فعليهم عندئذ أن يشتروا ما معه ..
من تذكارات .. كوكب الأرض ..

★ ★ ★

كانوا تواقين للشراء ..
وقام عدد منهم بإحضار كل بضاعته من سفينة الفضاء .. وسرعان ما اكتظت قبة التسلية .. بمئات التذكارات .. التى تعيد ذكرى كوكب لم يره معظم سكان الزهرة .. قط .. وبدأ المستوطنون بحماس شديد .. يزايدون على الأسعار التى أخذت فى الارتفاع .. لتنافس الجميع للحصول على تذكار .. من أحد الأبطال ..
وحتى بعد أن بيعت البضاعة كلها .. كانوا ما يزالون يطالبون بالمزيد منها .. ويلحون فى عودة تاجر الفضاء العجوز .. مرة أخرى .. لكنه هز رأسه .. إذ كانت جيوبه ممتلئة الآن بالمال الوفير .. الذى حصل عليه منهم .. أكثر مما يحتاج إليه بكثير .. ليعول نفسه طوال سنوات التقاعد .. وحتى نهاية العمر ..
إنه يرغب فى العودة إلى وطنه ..
كوكب الأرض ..

★ ★ ★

كانت سفينة الفضاء تواقة للوصول إلى نهاية رحلتها .. تمامًا مثل قائدها ..
وانطلق الاثنان بسرعة هائلة .. مخترقين أجواز الفضاء الذى يكتنفه سحر لا يقاوم ..

تلألأ كوكب الأرض أولا كماسة هائلة زرقاء ضاربة للخضرة .. ثم لم يلبث أن كبر حجمه .. وأمكن لتاجر الفضاء العجوز .. أن يرى الأشكال المألوفة للكثبان الرملية .. والصخور .. والجبال .. والزرقة اللامعة للبحار والمحيطات ..
وبدأ استعداداته للهبوط ..
أخذ يقلل من سرعته .. وقلبه يرقص من الفرحة ..
حدد موقعه .. ثم ربط حزام مقعده حول جسمه ..
اقترب كثيرًا الآن من سطح كوكب الأرض .. وشاهد تفاصيل أكثر ..
وامتدت يده إلى لوحة التشغيل .. وانتظر ..
ثم من واقع خبرته .. وممارساته الطويلة .. قدر اللحظة المناسبة .. لإيقاف المحرك النفاث المساعد .. مما يعمل على تقليل سرعة هبوطه المندفع .. خلال الغلاف الجوى ..
حول المفتاح بإصبعه .. وكان ذلك كافيًا جدًا للمحرك القديم .. الذى أخذ يتباطأ .. ويدمدم .. حتى صمت تمامًا !
كان تاجر الفضاء العجوز .. متوترًا .. بيد أنه لم يكن خائفًا .. فبوسعه أن يصلح المحرك القديم .. فى أى وقت ..
وبرغم أنه كبر قليلًا بالنسبة لعمليات السير فى الفضاء .. التى تثير فى النفس .. الرعب .. والفزع ..
عدل بهدوء خوذته فوق رأسه .. وجمع أدوات الإصلاح .. وأوصل أحد طرفى خط النجاة بحزامه الجلدى .. القوى ..

ضغط على الزر لتحرير القفل الإلكترونى من على الباب الخارجى .. لسفينة الفضاء ..

كان هناك هسيس .. وخيوط رفيعة من دخان أزرق ..

تجهم وجه تاجر الفضاء العجوز .. إذ لابد أن هناك قطعًا فى الكابل الرئيسى .. ومعنى ذلك أنه سوف يواجه المتاعب ..

وبدا كما لو أن سفينته القديمة .. كانت تجهز نفسها للتقاعد .. مثلما يفعل هو بالضبط !

تحسس بأصابع مرتعدة .. ملهوفة .. السلك المحيط بحواف الباب .. محاولاً الوصول إلى مكان القطع ..

وعندما فشل فى ذلك .. جذب الكابل برفق ناحيته .. وبعد أن أصبح السلك فى يده .. حملق ببلاهة لمدة طويلة فى مكان القطع ! ثم فى الثقب الدائرى الفارغ .. فى جدار الكابينة .. واكتشف الحقيقة المخيفة !

إذ انقطع الكابل فى مكان ما .. بين الغلافين الداخلى والخارجى .. لهيكل سفينة الفضاء .. ولن يمكنه الوصول إلى هذا المكان .. وبالتالى لن يستطيع إصلاحه !

وفى هذه الحالة .. وبدون تلك الدائرة الكهربائية .. لن يمكن لأى طاقة فى الفضاء .. أن تفتح الباب الخارجى للسفينة .. وهكذا أصبح سجينًا داخلها .. ولم تعد هناك أى طريقة لإعادة تشغيل المحرك ..

وفى لحظة ذعر شديد .. دفع السلك المقطوع داخل الثقب .. آملاً فى حدوث معجزة .. ويتصل الطرفان .. ويتلامسان لفترة .. تكفى لفتح الباب الخارجى ..

ولكن لم يتحقق له هذا الأمل .. وأدرك تاجر الفضاء .. أنه عندما يكون المرء شابًا فإنه لا يكل من الكفاح .. لمواصلة حياته حتى آخر أنفاسه ..

إلا أن تقدم العمر بسبب الاستسلام .. والتقبل الهادئ .. للقضاء والقدر ..

جلس تاجر الفضاء العجوز مرة أخرى .. بضجر فوق مقعده وضغط وجهه فى الزجاج البارد للنافذة الجانبية ..

كان كوكب الأرض هناك بأسفل .. يتلألأ بجماله الفاتن .. وسط هالة من ألوان الطيف ..

وبحركة غير محسوسة تمامًا .. شعر بأن سفينته البائسة .. تدخل فى مدار لها ..

وببطء بدأت تدور حول كوكب الأرض .. ولكنها لم تقترب أبدًا من سطحه ..

حدقت العينان الكليلتان فى كآبة .. وحزن .. إلى الفردوس بعيد المنال ..

الكوكب الأم ..

وضغط التاجر العجوز وجهه بقوة أكبر على الزجاج السميك .. وكاد أن يشم رائحة تفتح الزهور فى شهر أبريل .. ويشعر برذاذ ماء البحر المالح على وجنتيه .. بعد أن اصطدمت الأمواج المتلاحقة .. بالشاطئ ..

وامتلأت أذناه بأنغام الطيور الصداحة .. وقت الفجر .. وسمع صفير الرياح خلال الأشجار الباسقة .. المورقة ..

وظلت هذه الذكريات .. من كوكب الأرض .. طويلًا فى ذهنه .. قبل أن يغمض عينيه .. إلى الأبد !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا للخيال العلمى

ازدحام

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

وقف (راشد فهمى) فى الممر الضيق .. بالحجرة المظلمة .. متكئا على السياج .. ومحدقًا لأسفل .. فى الحوض الزجاجى الكبير .. ساطع الإضاءة ..

كانت فنران التجارب البيضاء .. فى واحدة من أنشط حالاتها .. تتلوى .. وتركض مسرعة فوق أرضية الحوض .. المفروش عليه طبقة رقيقة من الرمال .. احتشدت مجموعة من الفنران .. حول أوعية التغذية .. وكل منها يحاول الوصول إلى مكان أفضل من غيره ..

وكان فأر يطارد آخر فى إحدى حظائر التربية .. بينما جثمت إحدى الأمهات فى ركن مغلق .. وتسد مجموعة من الفنران الصغيرة الرضع .. التى ولدت منذ عدة أيام .. براثنها أمام أى دخيل .. لقد زاد عدد فنران التجارب حاليًا .. إلى درجة أنه لم يعد أى مكان فى الحظائر .. لكى تربى الإناث صغارها .. وتعنى بها !

- ١ -

تلكأ (راشد) لفترة .. برغم أن وردية فى الإشراف والمراقبة .. بمبنى الأبحاث .. كانت قد انتهت ..

أخذ يحدق .. دون أن تطرف عيناه .. فى الحوض الزجاجى الكبير .. العالم الصغير لفنران التجارب ..

كان مبهورًا بنشاطها .. وهى تتناول طعامها أو تستريح من التعب .. أو تتناسل .. أو تموت .. بإيقاع مضطرب .. يحمل فى طياته فكرة غريبة .. هى أنه لو وقف الإنسان يراقب فنران التجارب البيضاء .. لفترة طويلة .. فبوسعه أن يكتشف قانونًا ما .. أو هدفًا ما .. وراء كل هذه الأنشطة !

فُتح باب فى الجانب الآخر من الغرفة .. وانتشر للحظات ضوء رمادى .. آت من الممر .. وعرف (راشد) من وقع الأقدام على الممر المعدنى .. الذى يلتف حول جدران حجرة المراقبة .. أنها خطيبته (راوية سالم) ..

التفت .. ونظر إليها .. وهى تسير تجاهه .. وجهها الأبيض .. مضاء بشكل رائع .. بضوء مصابيح منطقة الاختبار .. الحوض الزجاجى الكبير .. الذى بأسفل ..

تطلع إليها مليًا .. ثم ألقى نظرة أخيرة خلفه على الفنران البيضاء .. وغادر المكان بخطوات متثاقلة .. وانطلقا خارجين من الحجرة المظلمة .. فى صمت ..

كانت الممرات البنية لمبنى الأبحاث ضيقة .. ومتربة .. تذكر (راشد) ببعض أماكن تواجد الفنران الرمادية .. التى تثير الضيق والاكتئاب .. تحت سطح الأرض ..

وكانت مصابيح الفلورسنت المتباعدة .. عن بعضها .. تلقى ضوءًا شاحبًا .. باردًا .. على الجدران الخرسانية .. التى كانت رطبة إلى حد ما ..

★ ★ ★

تنهد (راشد) وقال :

- إننى مغرم بها بشكل لا أستطيع وصفه ..

ثم نظر وراء (راوية) إلى الأفق البعيد .. حيث تبدو الأهرامات الثلاثة .. أثرًا خالدًا .. يطاول السماء .. وأضاف قائلًا :

- لدىّ إحساس بالانجذاب إليها .. والاندماج معها .. وبأننى لو صبرت بما يكفى وراقبتها طويلًا .. فسوف أفهم فى النهاية .. كل شىء عنها .. مثلًا كيف يعيش هذا المجتمع الصغير .. وما هى المعانى الكامنة فيه .. وما أهميته لنا !

قالت (راوية) بدهشة :

- إنها مجرد فئران تجارب يا (راشد) .. هل هى مهمة إلى هذا الحد ؟

تردّد قليلًا ، ثم قال :

- إنك قريبة جدًا من العمل لكى تعرفى ذلك .. إن كل نظام حياة الفئران البيضاء الاجتماعية يتغير .. عندما يزداد عددها .. ويحدث الزحام .. فى البيئة المغلقة .. فبعض الإناث أكلت صغارها بعد ولادتها .. أو تركتها بدون رعاية .. ومتوسط عمر الفئران بدأ يقل .. وما زالت الزعامة فى يد فأر واحد .. ولكن المعارك كثيرة جدًا الآن .. وبدأ الاستقرار العام لحياتها فى الزوال !

قاطعته (راوية) قائلة :

- يبدو أنك لن تستطيع أبدًا .. أن تبعد تفكيرك عن فئران التجارب !

★ ★ ★

- ٢ -

بدأت الأضواء التى تنير الحوض الزجاجى الكبير .. تخفت تدريجيًا .. بما يشبه هبوط الليل .. وانتقل (راشد) إلى أجهزة الرؤية بالأشعة تحت الحمراء .. وكلما خفّت الأضواء .. كلما زاد بطء حركة فئران التجارب .. وتمدد معظمها استعدادًا للنوم ..

كتم (راشد) تثاؤبه .. فى الوقت الذى بلغ فيه ظلام الغرفة .. والحرارة .. أقصى درجة لهما ..

كانت شاشة كمبيوتر المراقبة .. وعدة عدادات متألقة لقياس درجة الحرارة .. ونسبة الرطوبة .. هى النقط الوحيدة المضاءة .. وسط الظلام الدامس ..

راقب (راشد) الشاشة .. حتى أجهدت عيناه .. وبدأ يتصور أن بإمكانه رؤية بعض أشكال حركات فئران التجارب .. وأدرك أنها تدل على نوع ما من .. الذكاء !

وبينما هو مستغرق فى الملاحظة .. حدث شىء غريب ..

بدا أولًا كحركة عشوائية .. ولكن ظهر بعد ذلك .. كما لو كانت الفنران تعرف بغزيرتها ما تفعله ..

فقد بدأت مجموعة من نحو عشرين فأرًا .. فى التجمع فى دائرة بأحد أركان الحوض الزجاجى .. ووجوهها بعضها تجاه البعض ..

اتكأ (راشد) إلى الأمام .. فى اهتمام .. إذ أن مثل هذا السلوك .. لم يسجل قط من قبل ..

كان مأخوذًا بالطريقة التى تصرفت بها الفنران البيضاء .. كيد واحدة ..! كما لو أن هناك خطة منظمة .. يجرى الإعداد لتنفيذها !

بعد عدة دقائق .. اختفت دائرة الفئران .. وانفض جمعها .. وتشتت بعشوائية .. نشطة .. وأصبح لكل منها مرة أخرى .. حركته الخاصة به ..

★ ★ ★

وفى اليوم التالى ... ركّز (راشد) نظره إلى أسفل .. على فنران التجارب ..

كانت تتفرق عن أوعية الطعام فى وقت واحد .. وهرعت فى جميع أنحاء الحوض الزجاجى .. المقسم إلى حظائر .. بدون أى هدف ظاهر .. كما لو كانت الفنران تبحث عن شىء ما ..

أمسك (راشد) أنفاسه .. عندما تأكد له أنها بدأت تلتف فى دائرة .. ثم تحركت بتردد .. ولكن حركاتها الإجمالية .. بدت موحدة.. ولغرض معين ..

وعاد لـ (راشد) الإحساس الغريب .. بأن هذه العملية منظمة على نحو ما !

شكلت فنران التجارب دائرة كاملة .. تقريبًا .. ووجوهها إلى الداخل .. ثم سكنت حركتها .. وكأنها تهمس لبعضها !

فتح (راشد) فمه .. ليقول شيئًا .. ولكن فجأة .. تحرك إدراكه .. ووقفت (راوية) بجانبه .. جامدة الحركة .. وهى تحبس أنفاسها ..

فقد كان منظر الفنران البيضاء .. غريبًا ..

بدا كما لو أن عقل (راشد) يتفتح .. والحواجز التى يعرفها تسقط ..

لقد اتسع مدى إدراكه .. وأصبح يعرف فجأة .. كل شىء فى مبنى الأبحاث .. وكافة المعلومات عن العاملين فيه .. والذين اتصل بهم .. اتصالًا وثيقًا .. فى خلال الشهرين الماضيين ..

وأحس أنه يعرف (راوية) الواقفة بجواره .. كما لم يعرفها من قبل .. شخصيتها .. وعقلها .. كما لو أنه قد وجد منفذًا .. إلى داخل مخها !

كان كل إحساسه فى هذه اللحظات .. الصحبة والاندماج فى كيان واحد .. الشعور بالوحدة مع كل الموجودين بمبنى الأبحاث !

ثم بدون إنذار .. انتهى كل هذا ..

أمسك (راشد) بالسياج المعدنى .. الصدئ .. الذى يحيط بالحوض الزجاجى الكبير .. لكى يمنع نفسه من السقوط .. وبدأ يشعر بدوار فى رأسه ..

نظر إلى (راوية) بسرعة .. فوجد أنها تتنفس بعمق .. وشفتاها متباعدتان قليلًا ..

وكان واضحًا .. بدون أى كلام متبادل بينهما .. أنهما قد عاشا نفس التجربة الغريبة .. التى لا تفسير لها !

ـ ٣ ـ

ولكن بحسب علمهما .. فإن التجربة التى حدثت .. لم يشاركهما فيها أحد .. سواهما ..

كان إحساس (راشد) الغريزى .. أن هذه التجربة .. نشأت بشكل ما .. بسبب علاقة الحب القوية .. التى تربط بينهما .. ولكن لم تُبن هذه الفكرة .. على أى دليل قاطع ..

كان للتجربة طعم غير واقعى .. يتمشى مع الجو الغريب للعوالم الأخرى .. فى مبنى الأبحاث كله .. وهو جو كان يزداد الإحساس به .. وإدراكه ..

معامل أبحاث .. تجارب على حيوانات .. مختبرات فيزياء وكيمياء .. مركبات كيميائية ذات رائحة خانقة .. جو ملوث غير صحى ..

وبدا كما لو كان كل العاملين فى مبنى الأبحاث .. قد نسوا وجود العالم الخارجى !

وداخل المبنى القديم .. المغطى بالخرسانة السميكة .. خلق الضوء الثابت .. ودرجة الحرارة التى لا تتغير .. الإحساس بالحياة .. داخل سجن مغلق .. أبدىَ .. منعزل عن بقية الكون ..

بالإضافة إلى الاقتراب الشديد .. والتأمل المستمر .. مع زملاء العمل ..

أنتج كل هذا .. حالة كانت فى البداية ثقيلة .. ثم أصبحت بعد ذلك مبرزًا .. للطمأنينة !

ولو كان (راشد) قد مرّ بهذه التجربة فى جو عادى .. وطبيعى .. وليس فى جو مبنى الأبحاث المشحون بالعواطف .. والانفعالات .. لوجد نفسه غير متقبل لها .. أو حتى مصدق لما حدث ..

ولكنه الآن .. قد قارب أن يندمج تمامًا .. فى عالم فئران التجارب البيضاء .. والجو المصطنع المحيط بها ..

بل وجد (راشد) نفسه .. منغمسًا فيه .. بكل كيانه .. وكالآخرين .. لم يهتم بالخروج من مبنى الأبحاث .. طلبًا للهواء النقى ..!

زاد الوقت الذى يقضيه (راشد) فى غرفة المراقبة .. محدقًا فى الفئران البيضاء .. المتكدسة .. المطوقة .. المزدحمة .. فى الحوض الزجاجى الكبير ..

وكان لديه إحساس دفين بأن شيئًا ما .. شديد الأهمية .. أصبح وشيك الحدوث .. برغم أنه لم يكن يدرى ما هو ..

وزاد هذا الإحساس الغريب .. مع مرور الوقت ..

★ ★ ★

كان (راشد) إلى حد ما غير واع لعمله فى ظروف غير صحية .. مع الأفراد الآخرين .. فى مبنى الأبحاث ..

وأحس بأن سلوكياته الاجتماعية .. واهتماماته .. وطرق تفكيره .. تتغير كثيرًا تحت وطأة الضيق الشديد .. من الازدحام المتواصل بالمبنى .. ولكنه أدرك على نحو ما .. أن هذا ما كان يريده .. وهو الاندماج التام فى المجتمع !

وبرغم عدم تمكنه من التعبير عن ذلك كله بالكلمات .. فقد شعر (راشد) بضرورة السيطرة على معظم تصرفاته .. ولعل (راوية) قد أحست ببعض انهماكه الفائق .. فى الاهتمام بمراقبة فئران التجارب البيضاء .. بحيث كان يقضى معظم وقته فى غرفة المراقبة ..

لا يشغل تفكيره شيء .. سوى العالم الصغير .. شديد الازدحام ! الموجود فى الحوض الزجاجى الكبير ..

كان (راشد) يقضى أكبر جزء ممكن من وقت راحته .. بعد نوبات العمل .. متكئًا على سياج الممر .. وعيناه مفتوحتان لا ترمشان ..

وأخذ مجتمع الفئران البيضاء يتطور فى اتجاهات جديدة .. لا يمكن تفسيرها !

فقد احتل الذكور معظم الأبراج الخشبية .. التى صنعت أساسًا لتضع فيها الأمهات صغارها .. ومن ثم فقد أصبحت تلد .. فى أى فراغ متاح .. وأخذت تتعارك بعصبية مع بعضها !

ومن وقت لآخر .. شوهد ذكور الفئران .. يحملون أشياء غريبة .. ويدخلون بها أبراج الولادة .. عبارة عن قطع معدنية .. وقطع من الخشب .. وأجزاء من أوعية الطعام ..

أما عادة التفاف عشرين فأرًا فى دائرة .. كما لاحظها (راشد) أول مرة .. فقد تكررت كثيرًا .. وفى فترات متقاربة .. كما لو كان يتم التدريب عليها !

★ ★ ★

وذات يوم .. عندما لاحظ (راشد) ذلك .. وكانت معه (راوية) .. أحس مرة أخرى .. بشعور التوحد .. والاندماج الغريب .. مع كل من يعمل بمبنى الأبحاث ..

ولكن هذه المرة .. لم يكن التأثير قويًا جدًا ..

وبدا كما لو كان تشتت الانتباه .. من نمو .. وتراكم بطىء .. إلى ذروة غير معروفة .. وفى نفس الوقت .. لم يبد هذا الشعور غريبًا .. ومخيفًا .. كما حدث من قبل .. إذ أصبح ذلك الآن .. وظيفة طبيعية لحالة الانطواء العجيبة .. التى وجد (راشد) نفسه فيها ..

كان يقف بصبر بالغ .. منتظرًا .. مراقبًا .. باحثًا عن أى هدف .. وانضم إليه فى بعض الأحيان .. بعض الباحثين الآخرين ..

أخذ الشعور بالانبهار .. يزداد انتشارًا ..

وأحس الجميع أن التجربة .. على وشك الوصول إلى بعض النتائج المحددة ..

وجاء خبراء فى مجالات علمية مختلفة .. لزيارة مبنى الأبحاث .. وأقاموا فيه .. آملين فى قرب الوصول إلى الانجاز العلمى الضخم .. المتوقع حدوثه .. عن السلوك الإجتماعى لفئران التجارب !

وازداد مبنى الأبحاث ازدحامًا بساكنيه ..

وامتلأت الممرات .. والمختبرات بالعاملين ..

وفى كل مكان وجد (راشد) وجوهًا يعرفها .. كما لو كان يتصل بأولئك الناس طوال حياته ..

لقد حققت الألفة .. والاعتياد .. مستوى عاليًا لم تحققه من قبل ..

★ ★ ★

وذات يوم .. عندما دخل (راشد) إلى غرفة المراقبة .. سمع صوتًا هادرًا .. مكتومًا .. خارج مبنى الأبحاث ..

نظر حوله .. وقد شتت الصوت تركيزه .. ولم يلبث أن أدرك .. أنه كان صوت الرعد ..

لابد أن الطقس الخارجى .. ملىء بالعواصف والأمطار ..

كانت غرفة المراقبة مزدحمة بالباحثين .. وتساءل (راشد) فى حيرة :

ـ لعلها الذروة التى كنت أنتظرها ! برغم أننى لم أتوقع حدوثها بمثل هذه السرعة !

سمع هديرًا آخر للرعد .. ولكنه كان ضعيفًا جدًا هذه المرة .. ثم دق المطر على السطح الخرسانى .. لمبنى الأبحاث ..

وانشغل (راشد) بالتركيز على عالم الفئران البيضاء .. المزدحم .. داخل الحوض الزجاجى الكبير ..

وبدأت فئران التجارب .. فى ممارسة عادة جديدة ..! إذ توقفت الحركة والنشاط .. اللذين سادا فى الأسابيع الماضية .. وتمددت الآن نائمة .. أو أخذت تزحف لمسافات قصيرة فى بلادة .. كما لو كانت لا تقوى على بذل أى مجهود ..

ولمعت أعينها الرمادية فى أضواء الحوض الزجاجى .. بوهن .. ودون أن ترمش .. أو تهز رءوسها ..

عض (راشد) شفته السفلى فى توتر .. عندما لاحظ أن كل حركة بسيطة لفئران التجارب .. كانت تقربها ببطء شديد .. من عمل دائرة واحدة .. ضخمة !

★ ★ ★

احتشد جمع كبير من الباحثين وراءه .. وعلى جانبيه .. داخل غرفة المراقبة .. حتى أنهم سدوا الممر الضيق .. الملتف حول الجدران الأربعة للمبنى ..

ازدحام خانق !! كان كل شخص مهتمًا فقط .. بفئران التجارب البيضاء .. الموجودة بأسفل ..

وأصبح جو التوقع الملفوف بالتوتر .. سائدًا بشكل ملموس ..

وداخل هذه الغرفة .. الخافتة الضوء .. كان يمكن للمرء أن يتصور .. أن جلسة لتحضير الأرواح .. تتم الآن !

أدرك الجميع أنهم يعيشون فى جو غريب حقًا .. وشبه خيالى .. لا يمكن مقاومته ..

وسادت الألفة الحميمة بين جميع الباحثين .. كما لو كانوا جميعًا .. كيانًا واحدًا لا ينفصم .. وهم يراقبون الحوض الزجاجى الكبير .. فى لهفة .. وتوتر .. وتوقع صامت ..

أصبحت حركات فئران التجارب .. أبطأ .. وعلى فترات أطول .. وبدأ شكل الدائرة البيضاء الكاملة .. فى الوضوح !

وفجأة .. بدأت الفئران فى نشاط مجنون .. فهاجمت أحد أبراج الولادة .. وأخذت تسحب من داخله .. أجسامًا صغيرة !

ـ ٤ ـ

أمسك (راشد) بذراع (راوية) بانفعال .. وأشار إلى الحدث الذى يجرى فى الحوض الزجاجى ..

فقد أصبحت الفئران تكوّن .. فريقًا منظمًا ! كطابور زاحف من النمل .. أو سرب من الطيور المهاجرة .. ولكن كان التنظيم هنا أقوى .. وأفضل .. إذ كان يدل على .. الذكاء !

ازدحمت الفئران فى أحد الأركان .. حيث أنبوبة إدخال المؤن .. والمواد الغذائية .. وبدأت تقضم .. وتحك فى الباب الصغير .. الموجود فى القاع ..

وكان (راشد) مايزال يشعر بالتوحد .. والاندماج .. والذكاء الجماعى !

أخذ جميع الباحثين يحدقون .. مشدوهين .. من حركات الفئران البيضاء .. وعلى وجوههم جميعًا علامات الحيرة .. والدوار .. والانبهار ..

وكانت حالة من القلق والتوتر .. تتجه حثيثًا .. إلى الفوضى ..

قبض (راشد) بيد واحدة .. على السياج الحديدى للممر الضيق .. وأمسك بيده الأخرى (راوية) .. الشاحبة الوجه ..

هدر صوت الرعد فوقهم .. أعلى من قبل .. مضافًا إلى الضوضاء المتزايدة فى غرفة المراقبة .. بسبب الازدحام الشديد ..

كان الهواء الصالح للتنفس قليلًا .. ولم يمكن لأجهزة التهوية .. تدبير الهواء الكافى لهذا الحشد الكبير من الباحثين .. المزدحمين فى هذا المكان ..

وقف (راشد) يتنفس بصعوبة .. مأخوذًا تمامًا .. بمنظر الفئران البيضاء .. وكأنه منوّم مغناطيسيًا !!

★ ★ ★

حطمت الفئران الباب السفلى لأنبوبة التموين .. والمواد الغذائية .. باستخدام الأدوات البدائية البسيطة التى جمعتها .. وخزنتها .. فى الأسابيع الماضية ..

وبدا أنها سوف تتمكن من الهروب .. خلال الباب الأفقى .. الموجود فى قمة الأنبوبة ..

وأدرك (راشد) فجأة .. أن على الفئران أن تهرب طلبًا للنجاة ..

فالمعرفة التى وحّدتها .. أوصلتها إلى .. الإدراك الجماعى .. بأن جو الحوض الزجاجى .. المحدود .. المقيد .. والملوث .. لن يؤدى إلا إلى الموت البطىء .. لمجتمعها .. بعد أن تزايد السكان .. واشتد الزحام الخانق !

صاحت (راوية) فى فزع :

ـ (راشد) .. ما الذى يحدث ؟

وفى نفس اللحظة .. سمع هدير آخر للرعد .. أقوى مما سبق .. وترددت أصوات تنفس ثقيل .. لبعض الباحثين ..

وفجأة انهار جزء من السقف .. بدوىّ مرتفع .. وانفصلت بعض قطع الأسمنت .. وتطايرت .. محطمة سطح الحوض الزجاجى الكبير ..

ثم انطفأت جميع الأضواء !

ـ ٥ ـ

اندفع (راشد) و (راوية) خلال حشود الباحثين .. المرتبكين .. الذين يهرعون فى فزع .. بعيدًا عن غرفة المراقبة ..

وأدرك (راشد) أن جدران مبنى الأبحاث .. توشك على الانهيار .. بسبب شدة الأمطار .. وقدم المبانى ..

ثم لاحظ فجأة أن تجربة التكامل الروحى .. والوحدة .. والاندماج الاجتماعى .. قد خبت إلى الدرجة .. التى لم يعد يلاحظها أى شخص .. سواه ..

تشقق الممر الضيق .. المعدنى .. والتوى ببطء تحت حمولة أوزان الباحثين .. المندفعين للخارج .. ثم تداعى الجدار بأكمله .. وانهمر المطر إلى داخل المبنى ..

كان الظلام سائدًا فى الخارج .. باستثناء ضوء القمر الخافت .. بينما أخذ الرجال والنساء .. يقاتلون لكى يجدوا مكانًا لأقدامهم .. ويصلوا إلى المخرج ..

★ ★ ★

انطلقت الفئران البيضاء .. من الحوض الزجاجى المحطم .. مسرعة .. لا تلوى على شىء ..

وانتشرت فى كل مكان .. وغرس أحدها أسنانه فى كاحل (راشد) .. فضربه بقدمه إلى أحد الجوانب .. ثم تسلق خلال فتحة .. فى الانهيارات التى حدثت للجدران .. وجذب (راوية) وراءه ..

كان المطر ينهمر بغزارة فى الخارج .. لدرجة أنهما ابتلا تمامًا .. فى بضع ثوان .. ثم أخذا ينظران إلى الآخرين .. وهم يتدافعون .. ويركضون بعيدًا ..

تنفس (راشد) بعمق .. فى الهواء الرطب .. البارد .. وتساءل فى نفسه :

- كم ترى مضى من الوقت ونحن فى الخارج ؟.. لقد أصبح الزمن بلا معنى .. داخل مبنى الأبحاث .. والآن من الصعب التكيف والتوافق .. مع العالم الخارجى .

حاول (راشد) أن يقصى عن عقله .. هذه الانطباعات المختلفة .. المتداخلة .. وأخذ يفكر .. بذهنه المكدود .. فى ما حدث فى الدقائق العصيبة الأخيرة .. ويحلل ما وقع من أحداث غريبة ..

تشبثت (راوية) بذراعه .. وشعرها الكستنائى مبلل بالماء .. ومترهل .. وعيناها العسليتان .. ذابلتان ..

قالت بصوت مفعم بالحيرة :

- ما زلت لا أفهم ! ما معنى هذا كله ؟ إننى لا أستطيع أن أتخيل .. أو أصف ما حدث الآن .. إن هذا يشبه تذكر عالم آخر .. غير عالمنا ..!

ردّ (راشد) بتؤدة :

- لقد حققت الفئران البيضاء وعيًا جماعيًا ! نفس التكامل الاجتماعى الذى أحسسنا به .. ويبدو أن ما حدث كان نتيجة طبيعية .. لزيادة عدد السكان .. وتلوث البيئة .. والظروف التى عاشوا فيها .. فعندما أصبح المجتمع مزدحمًا بأكثر مما ينبغى .. صار كل شىء مألوفًا .. ومعروفًا جيدًا لهم .. عندئذ تكونت روابط بين الفئران داخل مجموعتها الكبيرة ..

تريث لبرهة ثم استطرد قائلًا :

- ... وعندما التفت فى دائرة على هذا النحو .. لابد أنها عرفت طريق الاتصال الجماعى الحقيقى .. تمامًا كالارتباط الرائع بين النحل فى الخلية الواحدة !

تساءلت (راوية) بدهشة :

- لكن لماذا كان يجب أن نشعر نحن بذلك ؟

ارتجف (راشد) بسبب الرياح الباردة .. وذلك التغير المفاجئ الذى ألمّ بهما ..

لقد كان ما حدث .. أشبه بولادة جديدة لهما ..!

وبدت البيئة الخارجية فى الهواء الطلق .. غير مستقرة .. بعد المدة الطويلة من الحياة .. داخل مبنى الأبحاث ..

همس (راشد) :

ـ إن الأمر الذى لم يدركه الناس .. أن مجتمعنا البشرى .. أصبح مشابهًا تمامًا لحياة فئران التجارب .. التى كنا نشاهدها لتونا .. زيادة عدد السكان .. الازدحام الشديد فى حيز محدود .. وتلوث البيئة !

ردّت عليه (راوية) :

ـ لعل هذا ما أوجد الإحساس بالاندماج النفسى .. والتكامل الاجتماعى فى غرفة المراقبة .. ولكن لماذا مررنا نحن الاثنين فقط .. بهذه التجربة الفريدة ؟!

فكر للحظات ، ثم قال :

ـ إذا كنت على صواب ! وحدث كل هذا كنتيجة للازدحام الشديد .. والاتصال القريب المباشر .. فمن الطبيعى أن ذلك الإحساس يجب حدوثه بيننا .. فقد اشتركنا فعلًا .. فى قدر كبير من الفهم .. والألفة .. والاعتياد على شخصية الآخر .. إننا فى حالة حب .. كياننا واحد ..

حدقت فى وجهه ، ثم قالت :

ـ وبعد حدوث أثر الازدحام على فئران التجارب .. هل انطلقت شرارته إلينا ؟

صمت لعدة ثوان .. وقال هامسًا :

ـ ربّما كان هناك بعض تسرب .. وانتقال للخبرات .. من عقولها لعقولنا ..

إننى الآن فقط .. أصبحت قادرًا على التعبير عن ذلك بالكلمات .. أما عندما كنا داخل مبنى الأبحاث .. فقد كان كل ما يمكننى عمله .. هو الإحساس به .. والمتابعة الغريزية للأفكار التى شعرت بها ..

نظر لأعلى فجأة ..

إذ حدث بدون سابق إنذار .. انطلاق لسان لامع من اللهب .. انبعث من سقف المبنى المتداعى .. ثم اندلعت النيران فى الهواء .. ولم تفلح الأمطار فى إطفائها ..

وأضيئت الحدائق العشبية .. فيما حولها .. ووقف الرجال والنساء .. الهاربون من المبنى .. فى شبه دائرة يوهجها ضوء النيران .. تمامًا كما كانت تفعل فئران التجارب !

قال (راشد) كما لو كان يحدث نفسه :

ـ أعتقد أن هذا الحريق .. سببه ماس كهربائى بسبب هطول الأمطار .. وأن هذه هى نهاية مبنى الأبحاث !

ثم أمكن لـ (راشد) و (راوية) رؤية العديد من الفئران الكبيرة البيضاء .. فى الضوء الاصفر .. البرتقالى .. اللامع .. وهى تعدو مسرعة مبتعدة عن المبنى .. فى كل اتجاه !

واصل (راشد) حديثه :

ـ ... لقد تحققت نظريتى ! فبمجرد وصول الفئران إلى الإدراك الجماعى .. بغريزتها .. أنها كمجموعة لا يمكنها الاستمرار فى الحياة على المدى الطويل .. فى هذا الازدحام الخانق .. وتلوث البيئة .. إلا إذا هربت من القيود المفروضة عليها فى بيئتهم .. أى الحوض الزجاجى الكبير !

تريث لفترة ، ثم تساءل :

ـ ... (راوية) .. هل لاحظت متى تبدد شعورك بالتكامل الاجتماعى .. والاندماج النفسى مع الآخرين ؟

ردّت (راوية) متهيبة :

ـ بمجرد تحطم البينة المغلقة .. عند تصدع وانهيار مبنى الأبحاث ..!

وبرغم استمرار هطول الأمطار ..

ومبنى الأبحاث المتصدع .. المحترق ..

والفئران البيضاء التى أخذت تتحرك بسرعة .. فى البينة الجديدة .. بلا هدف .

التقت العيون ..

وتألقت بارقة أمل !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا للخيال العلمى

عالم الروبوت والإنسان الآلى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

القرن الثانى والعشرون ..
عالم يمتلئ بالروبوتات .. والأناس الآليين ..
آلات متحركة ذات ذكاء صناعى ..
وآدميين استبدلت معظم أعضائهم بأجزاء صناعية ..
قلب صناعى .. كلية صناعية .. كبد صناعى .. شرايين صناعية ..
أصبح عالم آلات .. وليس دنيا للبشر !

- ١ -

أول وظيفة قمت بها .. وأنا شاب فى العشرين من عمرى .. كانت فى ترسانة صنع سفن الفضاء ..

وهناك شعرت أن مواهبى وخبراتى .. يمكن أن يستفيد منها المجتمع بشكل كبير ..

وفى عصرنا هذا .. ونحن فى أوائل القرن الثانى والعشرين .. حيث نجد أن كل شىء متطور .. وتكنولوجى جديد .. فإن الجزء الذى مازلنا نملكه من أنفسنا .. هو حالتنا الإنسانية ! التى ما زالت بائسة مع وجود كل هذه الآلات ذات الذكاء الصناعى ..

وبرغم الوجبات اليومية الثلاث المجانية .. الممتلئة بالبروتين والفيتامينات .. إلا أنها لا تساعد على الشفاء من الكآبة .. التى أصبح يشعر بها معظم البشر .. والأناس الآليون أشد تعاسة من البشر .. فهم وسط بين الآدميين .. والروبوتات .. وبعضهم هجر وظيفته ..... ووقف فى مفارق الطرق .. يرتدى نظارة سوداء ..

يستجدى الصدقات عن طريق كتابة لوحات مثيرة للشفقة .. فوق رءوسهم ..

مثل « يتيم التكنولوجيا .. ذو القلب الصناعى » .. أو « ارحم هيكلى الصناعى المعدنى البائس » .

وقد رأيت بنفسى واحدا منهم .. ينفطر له القلب !

فقد كان يجمع الصدقات ليغير كبده الصناعى .. بآخر حديث يعمل بأشعة الليزر !

إن تقادم الأطراف الصناعية للإنسان الآلى .. هى موت محقق له ..

إن لهم أيضًا جروحهم .. وآلامهم ..

فمجرد حرمانهم من الحياة البشرية العادية .. لابد أن يكون مصدر حزن .. وألم لهم ..

ومعظم الأناس الآليين .. يكرهون الشحاذين منهم .. وهم يجولون فى الطرق بعد العمل .. ويضربون أى شحاذ يقابلهم .. ويلقون بأطرافه الصناعية المعطلة .. فى أماكن إلقاء القمامة !

إن شكل الإنسان الآلى مخيف .. فهو يبدو كآدمى يرتدى قناعًا حديديًا .. كما أن حركته بطيئة .. ومتثاقلة ..

كنا نقوم ببناء سفينة فضاء عملاقة .. حديثة .. فى خط الإنتاج الثالث .. ذات محركات تعمل بالوقود الهيدروجينى .. وهيكل من الألومنيوم وألياف الكربون ..

وكان مقررًا لها أن تتابع اكتشافات القمر الصناعى (كوب) ..

الذى أطلق منذ ما يقرب من مائة سنة .. أى فى عام ١٩٩٢ .. واستطاع أن يؤكد حدوث الانفجار الأعظم الذى صاحب خلق الكون .. منذ ١٥ ألف مليون سنة ..

كما اكتشف هذا القمر الصناعى .. أن الكون الذى نراه لا يمثل أكثر من ١ ٪ من الكون الحقيقى .. أما الباقى فمادة مظلمة مجهولة ! مكونة من جسيمات دون ذرية غريبة .. لاتتفاعل مع أى مادة أخرى .. مثل الأكسيونات .. والجسيمات الكتلية ضعيفة التفاعل ..

وكانت هذه السفينة الفضائية الجديدة .. مصممة لاكتشاف سر هذه المادة المظلمة !

لم يكن بناء سفينة الفضاء الجديدة .. يجرى عبثًا .. إذ أنها لا تتضمن أى رفاهية .. أو قمرات سكنية .. أو أثاث ..

فقط معدات للاستشعار من بعد .. وأجهزة كمبيوتر متطورة .. للقياس وتخزين المعلومات ..

قلت لجهاز الكمبيوتر (م-٨) ونحن ندخله فى جدار غرفة القيادة .. بسفينة الفضاء :

- عند عودتك بعد آلاف السنين .. سوف تصبح الشمس عملاقًا أحمر .. عندما يبدأ قلبها فى الانكماش فتتحرر طاقة تدفع المناطق الخارجية للتمدد .. فتنخفض درجة حرارتها ..

وهكذا سيغطى الجليد كل كواكب المنظومة الشمسية .. فماذا ستفعل عندئذ ؟

ردّ الكمبيوتر (م-٨) بصوته الآلى .. الأجش :

- سوف أقيس سمك طبقة الجليد فى كل كوكب !

وهكذا تبدو الكمبيوترات .. والروبوتات .. وأحيانا الأناس الآليون .. مرحين .. وهزليين .. لأنهم لا يمثلون .. أو يعبرون عن شخصيات معينة .. بل يقولون دائمًا .. الحقيقة المجردة !

سألت (م-٨) مرة أخرى، قائلًا :

- من الذى سوف يستفيد من قياسات الطبقات الجليدية ؟!

لم يبد أى تعبير مميّز فى صوت الكمبيوتر، وهو يجيب :

- سأقيسها لمصلحتها الذاتية !

قلت فى دهشة بالغة :

- حتى لو لم يكن فى المنظومة الشمسية أية كائنات بشرية للاستفادة منها ؟!

ردّ الكمبيوتر بتؤدة :

- ربّما كانت هناك كائنات أخرى فى الكون .. تهتم بهذه القياسات !

قلت بذهول :

- كائنات أخرى !

قال بسرعة :

- هل لديك تأكيدات بعدم وجود كائنات أخرى فى الكون ؟

إن كل سفينة فضائية ضخمة .. مخصصة للأبحاث الفضائية .. تتكلف أكثر من الدخل القومى السنوى الإجمالى .. لدولة صغرى .. وتنطلق إلى أعماق الكون .. بل يسجل عودتها الكمبيوترات .. والروبوتات .. ويخزنون المعلومات التى جلبتها ..

وكنت مسئولًا عن وضع الرقاقات الإلكترونية فى سفينة الفضاء .. هذه الكيلومترات من اللحامات الدقيقة الرائعة .. إنها كل حياتى !

وقد كان الحوار مع الكمبيوتر (م ـ ٨) دائمًا ينتهى .. بلا شىء ..

فالكمبيوترات تقول الحقيقة المجردة .. إن ما تراه هو الحقيقة ذاتها .. فهناك أشياء تحدث لا يراها أى آدمى .. فهل يجب أن ندخلها فى حياتنا الشخصية .. أم لا ؟

مثل المتوقع حدوثه للشمس بعد آلاف السنين .. فسوف تصبح عملاقًا أحمر ثم قزمًا أبيض .. وفى النهاية جسمًا أسود خامدًا .. لا حياة فيه !

إن الكمبيوتر يقول بأن هذا التطور سوف يحدث .. ولكنه لن يقع فى أثناء حياتنا الشخصية .. لهذا لا يهمنا .. فى الوقت الحاضر !

ـ ٣ ـ

حاولت ذات مرة أن أشرح كل هذا .. للروبوت (مارد) الذى صمم كالشكل البشرى ..

ـ إن الروبوت لا يمكنه سوى فهم الحقيقة العامة .. لتطور الشمس مثلًا .. وإنه غير قادر على إدراك الحقيقة الشخصية ..

رد علىّ وعيناه البلوريتان تتألقان ببريق أزرق :

ـ الحقيقة العامة أكبر .. ولذلك أنا أعظم منك .. إذ أنك لا تدرك سوى الحقيقة الشخصية .. ذاتك فقط !

قلت مستنكرًا :

ـ كلًا مطلقًا ! إننى بجانب إدراكى لجميع الحقائق الشخصية .. وفى نفس الوقت ، أعرف بعض الحقائق العامة .. ومعنى ذلك أن لدىّ فكرة أفضل عن الحقيقة الكلية .. منك !

قال بصوت أجش .. يثير الأعصاب :

ـ إنك الآن تخترع نوعًا ثالثًا من الحقيقة .. لكى تنتصر علىّ فى المناقشة .. لتشبع غرورك البشرى .. إن مجرد كونك إنسانًا .. يدعوك لمحاولة إثبات أنك أفضل منى !

وعندما تصل مناقشاتى مع أى روبوت .. إلى طريق مسدود .. أوقف تشغيله !

وهكذا أثبت أننى أفضل من (مارد) .. لأننى أستطيع إيقاف تشغيله حينما أريد .. عندما تثور أعصابى !

وفى اليوم التالى .. عندما عدت إلى وردية العمل .. قمت بإعادة تشغيل (مارد) .. فقال على الفور :

ـ إن الروبوت يستطيع أن يؤدى كل الأعمال فى الظروف الخطرة بالنسبة للإنسان .. فى قاع المحيط .. أو أعماق الكون ، أو فى المفاعلات النووية عند التعامل مع المواد المشعة .. قلت بنفاد صبر :

ـ على الأقل .. البشر يمكنهم الإحساس بالعواطف النبيلة كالحب والتضحية والوفاء .. بينما الروبوت ليس لديه أى شعور !

ثار (مارد) وحاول أن يضربنى بآلة حادة .. وكانت هذه هى عادته .. عندما أهزمه فى المناقشة .. فأبطلت تشغيله .. عقابًا له !

- ٤ -

كانت ساعات العمل فى ترسانة صنع سفن الفضاء طويلة .. وخاصة بالنسبة لنا نحن الشباب ..

كنا نعمل من الساعة العاشرة صباحًا .. حتى الثانية بعد الظهر .. بينما يعمل الأناس الآليون من الساعة العاشرة صباحًا .. حتى الرابعة بعد الظهر ..

ويمتد يوم العمل للروبوتات .. حتى الساعة السادسة مساءً ..

وكان الرجال والنساء من البشر فقط يحصلون على ١٥ دقيقة راحة كل ساعة .. لتناول المقويات ..

وبعد أن عملت بالترسانة لنحو عشرة شهور .. صدرت التعليمات .. بمنح الأناس الآليين .. خمس دقائق راحة كل ساعة .. لتناول القهوة .. إذ أنهم لا يتناولون المقويات ..

وقمنا بإضراب عقب صدور هذه التعليمات .. ولكن سرعان ما استقر الموقف .. بعد رفع مرتباتنا ..

وهكذا تأخر إنتاج سفينة الفضاء الجديدة .. لعدة أسابيع .. ولكن ما قيمة الزمن .. عندما تكون سفينة الفضاء .. على وشك الدوران .. حول الكون كله ؟!

★ ★ ★

كانت النساء العاملات فى ترسانة صنع سفن الفضاء .. عاطفيات جدًا .. وكثيرات منهن أحببن أناسًا آليين !

وتقبل الرجال من البشر .. هذا الأمر بمرارة شديدة ..

فعندما ازداد تعيين النساء فى الترسانة جنبًا إلى جنب .. مع الرجال والأناس الآليين .. والروبوتات .. أصبح الرجال أكثر حذرًا فى تصرفاتهم وسلوكهم .. فى حركاتهم وإيماءاتهم التى صارت أقل فظاظة .. وزاد اهتمامهم بمظهرهم ..

وقد صدمت فى حبى الأول .. عندما تركتنى (سالى) .. وأحبت إنسانًا آليًا .. يعمل كهربائيًا إلكترونيًا .. وقالت إنه أكثر أدبًا .. واحترامًا !

ولم أستطع تحمل الصدمة .. وفكرت فى أن أرسل لها إخطارًا بأننى سوف أنتحر ..! فقد كنت أجد الكثير من هذه الإخطارات .. فى سلة المهملات ..

مجرد مسودات مكتوبة بخط ردىء :

[حبيبتى .. عندما تصلك رسالتى هذه .. فإننى لن أكون فى موقف يسمح لى .. بأن أسبب لك المزيد من المتاعب] ..

أو [حبيبتى .. لن يمكن لأحدنا أن يحطم قلب الآخر بعد الآن] ..

وكنت أتذكر لقائى مع (سالى) فى أثناء فترة الراحة .. وتناول المقويات ..

كانت تقول لى وهى تبتسم :

- إنك متوتر قليلًا .. أليس كذلك ؟

وكنت فعلًا هكذا .. ولكننى كنت أجيبها :

ـ كلّا .. لست متوترًا .. فلم يعد الحب أمرًا عاديًا بين البشر .. مع وجود كل هذه الأناس الآليين .. والروبوتات ..

ثم استطرد بسخرية :

ـ ... ذات الذكاء الصناعى !

وذات يوم قالت لى وهى تفكر :

ـ ولكن البشر مختلفون .. إنهم من لحم ودم .. وليس بهم أى أجزاء .. أقصد أعضاء صناعية !

قلت بسرعة :

ـ دعينا لا نناقش هذا الأمر الآن ! بل نتمتع بهذه الدقائق من الحب الإنسانى .. الفريد !

ولكنها لم تجب ، فقد انطلقت صفارة انتهاء فترة الراحة .. وعدنا إلى عملنا .. فى لحام الرقاقات الإلكترونية .. فوق سفينة الفضاء العملاقة .. وبعد ذلك سارت الأمور بيننا على ما يرام .. ثم هجرتنى .. لتقع فى غرام .. الإنسان الآلى .. الذى يعمل كهربائيًا إلكترونيًا .. ذى القلب الصناعى .. المنظم بأشعة الليزر ..!

ولعدة أيام .. كنت تعيسًا للغاية .. حتى أننى لم أتناول المقويات اليومية .. وفكرت فى أن أكتب لها إخطارًا بالانتحار .. ولكننى لم أعرف ما هى الكلمات .. التى تستخدم فى هذه الحالة بالذات .. أن تحب فتاة آدمية .. إنسانًا آليًا !

وذات يوم .. أخذت أكتب لها خطابًا على الكمبيوتر :

[حبيبتى سالى .. أعرف أنك أصبحت لا تهتمين بحبنا .. فهل هذا الإنسان الآلى .. ذو القلب الصناعى .. يمكنه أن يحبك أكثر منى ؟! هل تساءلت عما قد يحدث إذا توقف مصدر الليزر الذى يعمل بغاز ثانى أكسيد الكربون .. عن إمداد حبيبك بالطاقة لقلبه الصناعى؟!..

ولم أكمل الخطاب .. بل مزقته .. بعد أن استخرجته من طابعة الكمبيوتر ..

ثم تعرفت على زميلتى (نانسى) وأحببتها .. وبعد فترة تم نقلى إلى قسم آخر .. بحيث أستطيع أن أعمل معها فى لحام أجهزة الاستشعار من بعد .. على الهوائيات الحديثة لسفن الفضاء ..

ولكن (نانسى) كانت ثرثارة .. وتخبرنى دائمًا بوصفات لأطعمة غريبة ..

وكثيرًا ما كنت أسعد .. برجوعى إلى زملائى فى النادى .. هربًا من ثرثرتها ..!

وأخيرًا جاء اليوم العظيم .. وتم الانتهاء من تشييد سفينة الفضاء العملاقة (الفجر الجديد) ..

ونزل رئيس الترسانة .. وألقى خطابًا على العاملين .. وتفقد الأجهزة العلمية للسفينة .. وقال لنا إنها تعتبر بداية عصر جديد .. فى تاريخ البشرية ..

فهى مفتاح اتصالنا بحضارات فى كواكب بعيدة عن المنظومة الشمسية .. تبعد آلاف السنوات الضوئية ..

وكان من الضرورى لبقائنا .. واستمرار جنسينا البشرى .. والآلى .. أن نتصل بهذه الحضارات .. قبل أن يفعل أعداؤنا !

وكذلك كان من مهمة السفينة .. معرفة أسرار المادة المظلمة .. التى تكوّن نحو ٩٩٪ من الكون كله !

★ ★ ★

سألتنى (نانسى) وهى تغرقنى فى سحر عينيها العسليتين :

ـ لماذا لا نتصل بأعدائنا ؟

قلت فى نفسى :

ـ إن أعداءنا ليسوا فى كواكب منظومات شموس أخرى .. بل هم موجودون بيننا .. إنهم الأناس الآليون .. والروبوتات !

لم يكن لدى (نانسى) أى إحساس بسفينة الفضاء العملاقة .. وأهميتها ..!

وبينما كنا نخرج جميعًا من الاحتفال .. حدثت لى مفاجأة غير سارة .. إذ لمحت (نانسى) وهى تنظر بإعجاب .. إلى إنسان آلى .. ذى كبد .. وكلية صناعيين .. يعمل مهندسًا ..!!

إننى أحذر الجميع .. إذا لم ننتبه جيدًا .. فإن الأناس الآليين .. سوف يسيطرون على حياتنا .. كما اختطفوا نساءنا !

إن المستقبل مظلم حقًا .. مع وجود كل هذه الآلات .. والكائنات الآلية .. والذكاء الصناعى !

وسوف يمتلئ الغد بلا شك .. بإخطارات الانتحار .. التى سوف تلقى فى سلال المهملات ..

قلت لـ (نانسى) بصوت مفعم بالأسى :

ـ دعينا نحب بعضنا قليلًا .. حبًا إنسانيًا خالصًا .. قبل فوات الأوان !

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

أنفاق الرعب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ـ (مدحت) استسلم !

فتح (مدحت كمال) عينيه .. وأنصت .. وهو واثق بأنه استمع إلى صوت ما ..

كانت الحياة النمطية المحدودة هنا .. ساكنة .. وهادئة ..

ومن خلال الضباب الرقيق .. الحار .. تمكن (مدحت) من رؤية مساعده (مراد) .. يغير موضعه على الأرضية .. ويتقلب بعدم ارتياح .. وهو نصف نائم ..

لم يتكلم (مراد) .. فقطّب (مدحت) ما بين حاجبيه ..

كانا بمفردهما فى المركبة الفضائية (النسر) ..

وفى الحقيقة .. كانا هما الساكنان الوحيدان على كوكب الزهرة بأكمله .. الذى يدور حول الشمس متدثرًا برداء كثيف من السحب الغريبة .. التى تتكون من طبقات كثيفة من الرمال والغبار وثانى أكسيد الكربون ..

وعلى البعد .. كان يبدو (وادى كليوباترة) .. وهو منخفض بعمق نحو ثلاثة كليومترات .. يقع على السفوح الشرقية لجبال (ماكسويل) .. وقد تكوّن بسبب سقوط نيزك ضخم .. أحدث حفرة هائلة بسطح الكوكب ..

كانت المركبة الفضائية (النسر) .. قد استقرت فوق كوكب الزهرة .. منذ وقت قليل ..

لكن شخصًا ما .. أو كائنًا ما .. قد تكلم ! فمن يكون ؟

ـ هل .. نجحت .. بسهولة .. فى الرد ؟!

ولعدة ثوان .. فكر (مدحت) أن خياله المضطرب .. بدأ يصوّر له أمورًا .. وأن الموت أصبح وشيكًا !

لم يكن يصدق أن الصوت قادم من كائن ما .. خارج الكوكب .. يحاول الاتصال بهما !

رفع (مدحت) نفسه ببطء من على الأرضية .. وأحس أن رادءه الفضائى .. يلتصق بجسده من العرق المتصبب منه ..

صرخ لكى يوقظ (مراد) .. فقد أدرك أن أمامهما فرصة معقولة للنجاة .. بعد أن التقطا .. إشارة الخطر !

★ ★ ★

اتجه (مدحت) مسرعًا إلى غرفة الاتصالات الصغيرة .. وشغّل جهاز الإرسال بنفاد صبر ..

وبعد عدة ثوان لحق به (مراد) ..

ـكان صوت (مدحت) جامدًا ومتهيّبًا ..وهو يتكلم فى وحدة الاتصال :

ـ (مدحت كمال) يتحدث .. إننا نتلقى رسالتك .. حوّل !

جاءت الإجابة من سفينة الفضاء الرئيسية .. ضعيفة .. ومزعجة .. ومتقطعة ..

واضطر (مدحت) لوضع رأسه .. بجوار وحدة الاتصال .. لكى يمكنه سماعها .. وفهم شيئًا عن ظروف غير مناسبة للهبوط .. وجانب مظلم .. ثم انتهت الرسالة ..

ابتعد (مدحت) عن وحدة الاتصال .. ووجهه مكتئب .. وأدرك أن الانتهاء المفاجئ للإرسال بأشعة الليزر .. يعنى شيئا واحدًا ..

هو أن سفينة الفضاء الرئيسية .. اضطرت للابتعاد عن نطاق الاتصال .. وتركتهما إلى أسوأ نوع من الموت المؤكد ..

التسمم الحاد بالإشعاع !

- ١ -

تذكر (مدحت) كيف بدأ كل شيء ..

لقد أنشئت محطة (الرازى) لأبحاث الآثار الفضائية العميقة .. على كوكب الزهرة .. للأشعة الكونية .. بعد اكتشاف جسيمات غريبة دون ذرية بها .. هى الهادرونات .. قد تكون اللبنات الأولى للمادة !

وكانت المختبرات والمعدات .. جاهزة للدراسة ..

ولم يتصور واحد من المخططين للبعثة .. مواجهة أى مشاكل فوق كوكب الزهرة ..

لكن أحدًا منهم لم يضع فى اعتباره حدوث .. البقع الشمسية المفاجئة ! التى ظهرت منها مجموعتان متوازيتان على جانبى خط استواء الشمس .. ونتجت عن انقسام غير متوقع لمجال مغناطيسى حلقى الشكل .. قادم من مركز الشمس .. حيث تصل درجة الحرارة إلى ملايين الدرجات المئوية ..

وقد أدى ظهور هذه البقع الشمسية .. إلى اندلاع ألسنة من اللهب المشع .. لملايين الكيلومترات فى الفضاء ..

أخذت تتبثق وتتشتت فى كل الاتجاهات .. وبسرعات مذهلة .. مما أدى إلى تحويل كل المعدات والأجهزة .. التى فوق سطح الكوكب .. إلى كتل من المعدن المصهور !

ونجحت حتى الآن .. حواجز الدفاع المصنوعة من الليثيوم وألياف الكربون .. فى حماية مركبة الفضاء (النسر) ..

لكن الدمار التام ينتظر سفينة الفضاء الرئيسية .. إذا حاولت الهبوط فى هذه الظروف !

فكر (مدحت) فيما جاء فى الرسالة الأخيرة ..

« الجانب المظلم » ..

تحرك (مراد) للحاق به ، وردد قائلًا :

- الجانب المظلم من كوكب الزهرة !

أجابه (مدحت) :

- بالطبع .. فكر فى ذلك ! سفينة الفضاء الرئيسية لا يمكنها أن تهبط هنا .. ولا فى الجانب المواجه للشمس .. بسبب ألسنة اللهب المشع الناتجة عن البقع الشمسية .. لكن الجانب المظلم من كوكب الزهرة .. لن يدور ليواجه الشمس طوال إحدى عشرة ساعة أخرى .. بتوقيت الأرض .. ويمكن للسفينة الهبوط عليه ..

تريث لثوان ، ثم استطرد قائلًا :

- ... إذن يجب علينا أن نذهب إلى الجانب المظلم !

أجابه (مراد) وهو لا يصدق :

- الجانب المظلم للكوكب فى إحدى عشرة ساعة ! إن هذا مستحيل .. لن ننجح فى ذلك أبدًا !

طرح (مدحت) رأيه بعد أن لاحظ .. وقع فكرته الجنونية على مساعده .. الأنفاق ! التى لم يتم ارتيادها من قبل ..

ولهذا كانت هناك خطورة بالغة فى استخدامها !

قال (مدحت) بتؤدة :

ـ ماذا لو استخدمنا الأنفاق ؟ أو هل تفضل البقاء هنا لتموت فى أقل من أربع ساعات .. بسبب ألسنة اللهب المشع المنبعثة من الشمس ؟!

رفع (مراد) يديه فى يأس .. لأنه يعرف أن ليس لديه خيار فى الأمر .. ثم سار إلى داخل المركبة الفضائية .. وسحب رسمًا تخطيطيًا .. كان قد أعده خبراء الطرق الفضائية .. عن الكيلومترات الأولى من الأنفاق .. تحت سطح كوكب الزهرة !

أما وسيلة المواصلات داخل الأنفاق .. فكانت الدراجات النفاثة التى توجد فى قاعة خلفية .. بمركبة الفضاء ..

وكان عليهما أن يسرعا .. قبل أن تدمرهما ألسنة اللهب المشع !

وبقى سؤالان لم يستطع أى من الرجلين الإجابة عنهما :

هل تمتد هذه الأنفاق التى تحت سطح كوكب الزهرة .. حتى الجانب المظلم ؟

وما هى الأسرار والأخطار التى تنتظرهما .. فى تلك المناطق السوداء .. العميقة .. المجهولة تمامًا ؟

ـ ٢ ـ

كان مدخل أقرب نفق .. لمركبة الفضاء .. يبعد نحو مائتى متر .. ولكن كان من الصعب اكتشاف مكانه .. بسبب الكثبان الرملية .. والمنخفضات العميقة التى تغطيها التصدعات الأرضية .. فى هذه المنطقة من كوكب الزهرة .. والتى يطلق عليها (لافينيا) ..

ارتدى (مدحت) و (مراد) حلتى الفضاء .. وثبتا وحدات الأكسوجين .. بعد أن شغلا جهاز ضبط درجة الحرارة بهما .. عند أدنى درجة ممكنة ..

ثم بدأ الرجلان فى التحرك السريع ناحية النفق ..

وفى أثناء سيرهما .. أخذ السطح الخارجى لرداءيهما فى التقرح .. وبدا أن الحرارة اللافحة .. سوف تزهق روحيهما .. بحيث يصبح من المستحيل أن يتنفسا ..

واعتقد (مدحت) أنهما لن يتمكنا .. من إكمال المرحلة الأولى من رحلتهما ..

وفجأة .. ظهر لهما مدخل النفق .. وأسرع الرجلان بإلقاء نفسيهما داخله ..

كان الضوء الخافت للكوكب .. يضىء الأنفاق المنحدرة .. الممتدة إلى مسافة مجهولة .. فى الظلام الدامس ..

وهنا وهناك .. كانت الصخور الرمادية البارزة .. والكوات بينها .. يصلها بعض الضوء الذى يحيطها بغلالة من الظلال .. الغريبة .. المخيفة .. التى تزحف تجاههما !

ازدرد (مدحت) لعابه .. وأضاء مصباحه الصغير .. الذى لم يبدد هذه الأشباح .. كما أراد .. وإنما خلق المزيد منها !

تقدم الرجلان ببطء داخل النفق .. وهما يعلمان أن عليهما أن يقطعا مسافة لا تقل عن ألفى كيلومتر !

وبعد أن أشار كل منهما إلى الآخر برأسه .. علامة الاطمئنان .. والثقة .. امتطيا الدراجتين النفاثتين .. وشغلا محركيهما .. وانطلقا فى بداية النفق الممتد بلا نهاية .. فى أغوار الظلام ..

لمعت الأنوار الوماضة .. عبر لوحتى عدادات الدراجتين .. وامتلأ النفق بصوت الطنين .. الرنان ..

وتدريجيًا ارتفعت الدراجتان النفاثتان .. من على الأرض .. وحلقتا فى الهواء .. وكشافاهما الأماميان يحددان مسار الطريق أمامهما ..

أومأ (مدحت) برأسه مرة أخرى ..

وبدأت الدراجتان تزيدان من سرعتيهما .. وأضيئت الجدران الصخرية ..

وكان الرجلان يعرفان أنه لكى يحافظا على هذه السرعة .. طوال رحلتهما .. فلابد لهما من أن يتشبثا بقوة فى عمودى القيادة .. وإلا سوف يتعرضان لكارثة !

وفى هذه اللحظات شاهدا أول مخلوق بشع !

حاول (مدحت) أن يبتعد عن مكان هذا الكائن الغريب .. أيا كان .. وأشار إلى (مراد) ليتبعه .. وبدا كما لو كان الرجلان قد نجحا .. ولكن حدث أمر عجيب !

فبمجرد أن شاهدا المخلوق الغريب بوضوح .. بوجهه القبيح .. وعينيه الجاحظتين .. ولسانه الأحمر اللزج .. الذى يندفع خارج فمه ..

علم (مدحت) أن هذا الكائن سوف يقتلهما لا محالة .. ما لم يتحركا بعيدًا ..!

لكنه لم يجد فى نفسه القدرة حتى على رفع قدميه !

كما أحس (مراد) بأنه فى حالة غير طبيعية ..

وفجأة .. اندفع (مدحت) بدراجته النفاثة .. ليصطدم بقوة بكتف الكائن الضخم .. الذى سرعان ما تكوم على الأرض .. وهو يطلق صرخة هائلة .. من الألم .. كحيوان خرافى .. جريح ..

لكن الاصطدام العنيف .. جعل الدراجة النفاثة .. تنحرف عن مسارها ..

ومن ثم أخذ يحتك جانباها بجدران النفق .. وانطلقت منها سلسلة من الشرارات الخاطفة .. على الأرضية الصخرية ..

استطاع (مدحت) أن يتحكم فى الدراجة النفاثة مرة أخرى .. وأشار بسرعة إلى (مراد) أن ينطلق فى إثره ..

لقد زال الخطر الداهم .. وامتثل (مراد) للأمر .. وعاد الاثنان يشقان طريقهما داخل الأنفاق .. مبتعدين عن ذلك المخلوق البشع .. كائنا ما كان !

كانت لدى (مدحت) فكرة عما حدث .. إذ لابد أن هذا الكائن الغريب .. ضمن من بقوا من جنس ما .. كان يسكن كوكب الزهرة ..

لكن ما الذى كان يفعله هذا المخلوق فى النفق ؟ وكيف استمر فى الحياة .. دون هواء ؟

سؤالان لم تكن لدى (مدحت) أية إجابة عنهما !

حدّث نفسه قائلًا :

ـ مهما يحدث الآن .. يجب ألا نتوقف .. فإذا كان واحد من هذه الكائنات الغريبة قد عاش .. فلعل هناك آخرين أيضًا !

قطعا مسافة طويلة داخل الأنفاق المظلمة .. قبل أن يلمحا بعض هذه المخلوقات الغريبة ..

لكن ما شاهداه جعلهما يتمنيان .. أن يكونا قد قابلا الكائنات .. واحدا تلو الآخر !

ـ ٣ ـ

على البعد .. كان هناك عدد من كائنات غريبة .. عملاقة .. بشعة .. تسد النفق أمامهما .. تبدو أجسامها الضخمة .. اللزجة .. الهلامية .. الداكنة .. فى الضوء الأمامى للدراجتين النفاثتين ..

شعر (مدحت) و (مراد) بأن الخوف يتملكهما .. أكثر مما يسيطر عليهما .. منطق العقل .. إذ لم يتوقعا حدوث ذلك .. بأى حال من الأحوال ..!

وبسرعة رفع (مدحت) ساعته بالغة الدقة .. ليعرف الوقت الذى قضياه حتى الآن .. فى داخل الأنفاق .. تسع ساعات !

وبقى لهما ساعتان فقط حتى نهاية الرحلة ! إلى الجانب المظلم .. من كوكب الزهرة .. وإلا فلن يلحقا بسفينة الفضاء الرئيسية .. ومن ثم يقضى عليهما داخل الأنفاق !

هذا بالطبع إذا كانا منطلقين فى الاتجاه الصحيح .. إذ أن ذلك لم يعد واضحًا لهما الآن ..

أشار (مدحت) لـ (مراد) لتحديد الوقت المتبقى .. وأومأ الآخير برأسه علامة الفهم ..

انتهز (مدحت) كل فرصة ليراقب (مراد) بحذر ..

كان العرق يتصبب من وجه الرجل .. الشديد الشحوب .. بدا هذا واضحًا من خلف خوذته الشفافة .. واعتقد (مدحت) أن (مراد) على وشك الانهيار .. ولم تكن هذه مفاجأة له .. فإن ما شاهداه بالفعل كان كافيًا للإطاحة بصواب أى إنسان ! لكن (مدحت) كان يعرف أنه لن يتحمل فقد صديقه .. إذ أن حياتهما معًا .. تتوقف على مساعدة كل منهما للآخر ..

صرخ (مراد) قائلًا :

ـ (مدحت) !!

زمّ (مدحت) عينيه المجهدتين .. وحدق جيدًا أمامه .. فشاهد المخلوقات الزاحفة .. على مسافة قريبة !

حدث نفسه قائلًا فى فزع :

ـ يا إلهى ! إن هناك الكثير جدًا منهم .. إنهم يسدون الطريق أمامنا .. فما العمل ؟ والوقت يمرّ !

نظر إلى أعلا .. وشعر بالرعب يعتصره ..

كان السقف منخفضًا جدًا .. فى هذا الجزء من الأنفاق .. بحيث أنهما كانا مضطرين للطيران فوق هذه المخلوقات البشعة .. أو شق طريقهما .. خلالها !

أخذ (مدحت) نفسًا عميقًا .. وهبط بدراجته فى الفراغ نحو متر .. وزاد السرعة إلى أقصى حدّ ممكن .. وهو يعلم أن (مراد) سوف يتبعه ..

وبدا أن الكائنات الغريبة .. الزاحفة .. تسرع فى اتجاههما ..

أغلق عينيه وتقدم فى اتجاه ثابت .. وهو يمسك بكل قوته .. بعجلة القيادة .. وانتظر لحظة الصدام .. التى جاءت بعد عدة ثوان ..

جدار من المادة اللزجة .. الهلامية .. دفعت بمقدمة دراجته إلى أعلا .. ولطخت خوذته الشفافة .. بدم الكائنات .. الأخضر !

وأنّ المحرك النفاث لدراجته ..

اعتراض صامت ..

لكن (مدحت) لم يهتم بما إذا كان المحرك سوف ينفجر تحته ! كل ما كان يريده .. هو أن يشق طريقه إلى الأمام .. فلم تبق سوى ساعة واحدة !

لحق به (مراد) بعد عدة ثوان ..

قال (مدحت) بلهفة من خلال جهاز الاتصال .. المثبت فى ردائه الفضائى :

ـ (مراد) ! هل أنت بخير ؟

لم يرد (مراد) عليه ..

أدار (مدحت) رأسه بسرعة .. لينظر إلى مساعده ..

كانت دراجة (مراد) .. تمامًا مثل دراجته .. ملطخة بالمادة الهلامية .. اللزجة .. والدماء الخضراء ..

لكن (مدحت) رأى شيئًا ما .. مختلًا أكثر من ذلك .. كانت الدراجة النفاثة لـ (مراد) .. تتحرك بطريقة ملتوية .. وتثب لأعلى .. بشكل غير مقبول .. وتحتك أكثر من مرة .. وبشدة .. بجدران وسقف النفق ..

وبدا (مراد) نفسه .. متهالكًا .. على أجهزة التحكم فى الدراجة النفاثة ..

وأدرك (مدحت) فى هلع .. أن (مراد) لم يعد يستطيع السيطرة على دراجته ..

بعد لحظات .. اصطدمت دراجة (مراد) بأرضية النفق .. وتحطمت بعنف .. مطلقة الأتربة .. والأحجار الصغيرة فى كل اتجاه .. واخترقت حربة أطلقها أحد المخلوقات الزاحفة .. بقوة صدر (مراد) !

وعلى الفور .. خمن (مدحت) أن أحد الزواحف الأخيرة .. بقى على قيد الحياة .. وأطلق سلاحه على مساعده الشاب ..

لقد مات (مراد) !

وعندما شعر (مدحت) أن بينه وبين جثة (مراد) مسافة كافية .. أوقف دراجته .. وسقط على الأرضية .. ودموعه تجرى على خديه ..

كانت فكرة دخول النفق .. فكرته هو .. وقد مات صديقه (مراد) بسبب هذا ..

وعرف (مدحت) أنه لن يغفر ذلك لنفسه قط ..

وأدرك أنه حتى لو نجح فى الخروج من هذه الأنفاق المرعبة .. فإنه لن يتمكن من الهروب من كابوس رؤية صديقه .. يموت بهذه الطريقة البشعة !

احتضن جثة صديقه .. وجلس بجانبه ..

وعندئذ عرف (مدحت) .. أنه لن يستطيع مواصلة الحياة بمفرده !

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

صدر من السلسلة

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

انتقام الروبوت

هذه مجموعة جديدة من الرحلات المثيرة فى دروب المستقبل، من بين حوادثها .

- هل يتمكن الروبوت من الانتقام لتدمير سفنه الحربية فى أثناء الحرب مع كوكب الأرض ؟
- ما الذى سوف يحدث بعد أن غزا سكان المريخ كوكب الأرض وما علاقة هذا بمدينة الإشعاع المخيفة ؟
- الصراع بين البشر والكائنات الغريبة عند النجم الأسود .
- أغرب فائز بجائزة نوبل فى الطب ..

وغيرها من مغامرات الخيال العلمى المثيرة

إن قراءة نوفا متعة لا تنسى !

المؤلف

رءوف وصفى

فى هذا الكتاب

الصفحة

- انتقام الروبوت ٥
- الغزو المريخى ومدينة الإشعاع ... ٢١
- النجم الأسود ٤١
- الجائزة ٦٣
- تذكار .. من كوكب الأرض ٦٩
- ازدحام ٩٣
- عالم الروبوت والإنسان الآلى ١١٣
- أنفاق الرعب ١٢٥

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر
١٢٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم